﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

خُلُقٌ عظيم، وعقلٌ حرٌّ، وقلبٌ رحيم

مقدّمة الطبعة الرابعة

الحمدُ للّٰهِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على صاحب الخلُق الأعظم في عالم الإنسان، سيِّدنا محمَّد رسولِ اللّٰهِ، وعلى آلهِ وصحبه ومن والاه.

وبعد:

هكذا أردتُ أن تكون الكتابة: رسائلَ تتعاطَى مع جوانبَ متنوِّعة من شخصية الرَّسول مُحمَّد صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم.

والتعاطي يعني: التناولَ بشفافية وقدسيَّة، والشرحَ والتبيان بلغة العقل والقلب.

فلا واللّٰهِ ما رأيتُ أعظمَ من هذه الشخصية ولا أرحمَ ولا أعدلَ، وسترى صدقيَّة ذلك يا قارئي وأنت تُمعنُ النظرَ في صفحات هذا القرطاس الذي استُمدَّت مادته من صحيح السُّنَّة والسيرة الشريفة.

وكان الغرضُ من عرضها بهذا الأسلوب إراءةَ الناس ما كان عليه مُحمَّد بن عبد اللّٰه صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم من خُلُقٍ عظيم، وعقل حرٍّ زكيٍّ، وقلبٍ ودودٍ رحيم.

وقد اخترنا لهذه الرسائل منذ الطبعة الثالثة عنواناً جديداً، قبَسنَاه

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

من شهادة اللّه الحقِّ لرسوله سيِّد الخَلق، إذ قال عزَّ وجلَّ:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم: ٤.

إيماناً منَّا بحاجة العالم عامةً، والمسلمين منهم خاصةً، إلى التخلُّق بأخلاقه الإنسانية الشريفة، صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم، والتي أُسُّها الرحمة، والرَّحمة هي - كما عرَّفناها - عطاءٌ نافعٌ برفق.

وكأني بي وأنا أكتبُ ما أكتب أخاطب الناسَ كافةً والمسلمين خاصَّة:

هيا إلى بُؤرةِ نورٍ وموطنِ عطاء ومحلِّ نفع... اجتمعوا عليه، وتآلفوا على اتخاذه قدوةً إنسانيَّة لم ينجب التاريخُ لها نظيراً، واحذروا المساسَ بها والغضَّ منْ شأنها، فذلك سوءٌ وشرٌّ تستجلبونه لأنفسكم وعلى أنفسكم، لأنكم تُسيئون إلى أشرف بَضعة منكم، أنتم يا من تُكوِّنون جسمَ الإنسانية كلِّها.

وفي النهاية:

ما أجمل أن نوفَّق لنكون بمعيَّة سيِّد الناس مُحمَّد صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم، ومحلَّ رأفته ورحمته، حين قال عنه ربُّه سبحانه:

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ التوبة: ١٢٨.

محمود

ربيع الأول ١٤٢٩

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

وقبِّلي بخشيةٍ أعتابَهم

مقدّمة الطبعة الأولى

الحمدُ للّه، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولِ اللّه وآلهِ ومَنَ والاهُ.

وبعد:

أقولُ للرُّوحِ إذا سارتْ لَهُمْ ألا فَرُوحي وعلَى البَابِ امْرَحِي
وقَبِّلي بَخشْيَةٍ أعتَابَهُمْ وهِمَّةَ العَزْم لَدَيْهِمْ صَحِّحي

هذان بيتان مِنْ قصيدة روَّاسيَّة [1]، سمعتُها لأولِّ مرَّةٍ وأنا ابنُ عَشْر سنواتٍ مِن أفواهِ بعضِ المنشدين الكرامِ، فسكَنَتْ أذُني، وأحسستُ بصدرِ البيتِ الثاني قد تجاوزَ الأذُنَ ليكون مستقِرَّاً في صدري.

ورحتُ بعدَها أردِّده بيني وبين نفسي نشيداً أرتاحُ له، إذ أتخيَّلُ معه الأعتابَ في المدينةِ المنوَّرة، يومَ كانت مرابعَ الحبيبِ الأمينِ مُحَمَّدٍ صلى اللّه عليه وآله وسلَّم، وكذلك اليومَ ورسولُ اللّه ثاوٍ فيها، ينشرُ روضُه الشريفُ عبَقَ الأُنس على الجنَبات القَلْبيَّة الواعية، ليس فقط في فلَك المدينةِ العظيمة، ولكن في كلِّ القلوبِ الإنسانيةِ المتطلِّعةِ إلى أمْنِ السَّماءِ، وأمانِ الإيمانِ، وراحةِ الأرواحِ.

---

[1] نسبة إلى بهاء الدين الروَّاس، محمد مهدي بن علي الرفاعي الحسيني الصيادي، المولود في البصرة عام ١٢٢٠ هـ/ ١٨٠٥ م، والمتوفى ببغداد ١٢٨٧ هـ/١٨٧٠ م. كان عارفاً كبيراً، عبَّر عن مواجيده وأشعاره بشعر جميل رائق.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

لستُ شاعراً حتَّى أُكملَ خَطَّ مَن مدحَ الحبيبَ، وحينَها لي أعظمُ الشَّرف؛ ولكنِّي ناثرٌ لي مع العبارةِ عبيرُ غرامٍ، ومُحبٌّ للكَلِم يَنْعَشُني منه ما طابَ ويَخنُقني الذي لم يَطِبْ، وما عليَّ ملامٌ.

لذلك قررتُ رفعَ رسالاتٍ منثورةً إلى جنابِ الحبيب الأعظمِ مُحَمَّدٍ صلى اللّٰه عليه وآله وسلَّم، ومع كلِّ رسالةٍ شميمٌ مِنْ "وقبِّلي بخشيةٍ أعتابَهم"، ولميمٌ مِنْ بَهَار خدٍّ كلِّ قصيدةِ مدحٍ قيلتْ وأُنشدت.

ولما وصلَ عددُ الرسائل إلى الثلاثين، توجَّهتُ إلى "فُصِّلتْ" طالباً نشرَها في كتاب، وألاَّ يخلوَ عنوانُها مِن ذكرِ الأعتاب، فعسَاها وهي تُقْرأ مِنْ قِبَل المحبِّين تحثُّهم على رفْعِ الأكفِّ أمامَ العليِّ القديرِ، فيدعون لي بالثَّباتِ على محبَّةِ اللّٰه جلَّ شأنُه، ومحبَّةِ رسولهِ صلى اللّٰه عليه وآله وسلَّم، وأهلِ بيتِه الأطهارِ عليهمُ السَّلامُ، والصَّحبِ المختارين، وكلِّ الأولياءِ والصالحين، فذاكَ الحبُّ زادي الذي أدَّخرُ ليوم اللقاء.

ورحمَ اللّٰه السيَّدَ الروَّاس القائلَ في هذا المجال:

إنِّي على العَهْدِ القديمِ وحبُّهم ... ديني وكعبةُ مُهجتي ومَناري
وإذا حُشرتُ بُعيْدَ موتي في غد ... حُبِّي لهاتيكَ الوجوهِ شِعاري
أنَّى أُجَانبُ حبَّهم وهو الذي ... أعددْتُه زادي لعُقبَى الدَّار

فيا سَيِّدي، يا موضوعَ رسالاتي ورسائلي:

جزاكَ ربِّي عن قلبي وقلبِ كلِّ محبٍّ خيرَ ما يجزي محبوباً أميناً صادقاً عن مُحبِّيه.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

أنتَ أبَرُّ النَّاسِ.

أنتَ أكرمُ النَّاسِ.

وإنِّي لمطأطئٌ رأسيَ استحياءً.

الصَّلاةُ والسَّلامُ عليك يومَ وُلدتَ، ويومَ بُعثتَ، ويومَ بَلَّغتَ، ويومَ أدَّيتَ، ويومَ انتقلتَ، ويومَ تشفعُ لأمَّتك، وأنا منهم، يومَ الدِّين.

مولاك محمود

حلب الشهباء ربيع النور ١٤٢٠

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

الرِّسالة الأولى

سَيِّدي:
وَهَلْ يَسْتطيْعُ القَلبُ أن لا يُحِبَّ ؟!

ويسألني النَّاسُ عن منطقيَّةِ التَّكليف بمحبَّة النَّبيِّ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم الواردِ في قولِ اللّٰهِ تعالى:

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ التوبة: ٢٤.

وقولِ النبيِّ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم: **(لا يُؤمنُ أحدُكمْ حتَّى أكونَ أَحَبَّ إليه مِنْ والده، وولده، والنَّاس أجمعين)** [1].

والحبُّ لا يخضع لذلك ؟!

أقولُ:

ما دام المكلِّفَ اللّٰهُ الخالقُ فلا إشكالَ، فقد كلَّفَ بعد إذْ فطرَ القلوبَ على ذلك، فقال مختاراً:

---

[1] متفق عليه. البخاري: كتاب الإيمان، الحديث ٥١. ومسلم: كتاب الإيمان، الحديث ٤٤.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ الأنعام: ١٢٤.

وعلَّقَ الاختيارَ بالحبيب مُحبِّباً:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم: ٤.

فاتجهتِ القلوبُ صدقاً وعدلاً إلى صاحبِ الخُلقِ العظيم؛ فمِنَ النَّاس مَن أظهر وصدَّق، ومنهم مَن سترَ وكفر:

﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ﴾ الزمر: ٤١.

﴿وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ﴾ البقرة: ٢٨٣.

عجباً للناس؛ يقولون: إنَّ حبَّ المال فطريٌّ ! وما وردَ في ذلك، عقلاً ونقلاً، لا يعادل ما ورد في فطريَّةِ حبِّ الرَّسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فعبَّر العقلاءُ وقصَّر غيرهم.

التَّوراةُ بشَّرت به، والإنجيلُ حكَى عنه، والقرآنُ نزلَ عليه، وغدا اسمُهُ يُذكَر مع اسم الله جلَّت قدرته.

وصفُه يجذبُ، وخُلُقه يقرِّبُ، وصدقُه يَشدُّ، وأمانتُه تحبِّبُ، وعقلُه أرجحُ مِنْ أنْ تُقارَنَ به عقولُ العقلاء، مجتمعين أو متفرقين.

فأمَّا الوصفُ:

فقد جاءَ على لسان مَنْ رأوْهُ صادقاً محقِّقاً موثِّقاً مؤكِّداً، لأنَّهم كُثُرٌ متفاوتونَ عقلاً وتفكيراً ورأياً، فقال قائلهم، وهو أبو هريرة ﷺ: (**ما رأيتُ شيئاً أحسنَ مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، كأنَّ الشمسَ**

تجري في وجهه) [٢]، وقال آخر، وهو حسَّان بن ثابت الشاعر ﷺ:

مَتى يَبْدُ في الداجي البَهيمِ جَبينُهُ ... يَلُح مِثلَ مِصباحِ الدُجى المُتَوَقِّدِ
فَمَن كانَ أَو مَن قَد يَكونَ كَأَحمَدٍ ... نِظامٌ لِحَقٍّ أَو نَكالٌ لِمُلحِدِ

وعلى هذه الشَّاكلة توالَوا.

وأمَّا الخُلُقُ:

فأَعْظِمْ بتعظيمِ اللّٰهِ لخُلُقه، إذ قالَ عنه:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم: ٤.

وأنْعِمْ بمَنْ توشَّى بكلام اللّٰهِ فتخلَّقَ به؛ ولقد قالت زوجُهُ السَّيِّدةُ عائشة رضي اللّٰه عنها: **(كان خُلُقُهُ القرآنَ؛ يغضبُ لغضبهِ، ويرضَى لرضاه)** [٣].

وها هو ذا يعلنُ عن مُهمَّته فيقول: **(بُعثتُ لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ)**، وفي رواية: **(بُعثتُ لأتمِّمَ صالحَ الأخلاق)** [٤].

وقد ورد عن عطاء بن يسار أنَّه قال: لَقيتُ عبدَ اللّٰه بنَ عمروٍ فقلتُ: أخبرني عن صفةِ رسولِ اللّٰهِ ﷺ في التَّوراة. فقال: أجلْ. إنَّه لموصوفٌ في التَّوراة ببعض صفَتهِ في القرآن:

(يا أيُّها النَّبيُّ إنَّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وحِرزاً للأمِّيينَ. أنتَ عبدي ورسولي، سمَّيتُكَ المتوكلَ، ليس بفظٍ ولا غليظٍ ولا صخَّابٍ

---

[٢] أخرجه أحمد: الحديث ٨٩٢٣، ٥٣/٩.

[٣] أخرجه أحمد: الحديث ٢٤٤٨٢، ٣٧٩/١٧.

[٤] أخرجهما أحمد: الحديث ٨٩٣٢، ٥٦/٩.

بالأسواق، ولا يدفعُ بالسيئةِ السيئةَ، ولكن يعفو ويغفر، ولنْ يقبضهُ اللّهُ حتَّى يُقيمَ به الملَّة العوجاء؛ بأنْ يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتحَ به أعيناً عُمياً، وآذاناً صُمَّاً، وقلوباً غُلفاً) [٥].

وأمَّا الصِّدق:

فلم يكنْ لدَى بشر سواه، تسمَّى به تحقُّقاً، ولُقِّب به تعاملاً، وأيْمُ اللّهِ ما تجسَّد الصِّدقُ في غيره تجسُّدَه فيه، فكأنَّه شخصُه الذي يُعايَرُ عليه، ونموذجُه الذي يُنسَبُ إليه. ما نطقَ لسانُه إلا به، ولا خالفَ عملُه قولَه؛ ناداه أعداؤه يا صادق، ولمسَ أصحابُه بقلوبهم قبلَ آذانهم منه أصدقَ الحقائقِ. دخلَ عليه عبدُ اللّهِ بنُ سَلام ﷺ في المدينةِ فقالَ:

(**انجفلَ النَّاسُ إليه** - أي إلى رسولِ اللّهِ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم - **فكنتُ فيمن جاءَهُ، فلمَّا تأمَّلتُ وجهَهُ، واستْبَنْتُهُ، عَرفتُ أنَّ وجهَهُ ليسَ بوجهِ كذابٍ**) [٦].

وأمَّا الأمانةُ:

التي تُحبِّبُ، فسجيَّتُه التي انطوتْ عليها سريرتُهُ: اؤتمنَ فأدَّى، وأمَّنَ ليُبلِّغَ عنه؛ عن الأمانةِ العظيمةِ صدرَ، وإلى الأمانةِ الإنسانيةِ هدى.

نظر إليه أبو بكر ﷺ فقال:

أمينٌ مُصطفَىً للخيرِ يدعو كضَوءِ البدرِ زايَلَهُ الظَّلامُ

---

[٥] أخرجه البخاري: كتاب البيوع، الحديث ٢٠١٨.

[٦] أخرجه الترمذي: كتاب صفة القيامة، الحديث ٢٤٨٥. وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة، الحديث ١٣٣٤.

وخاطبَ رسولُ اللّٰه صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم في حَجَّةِ الوداعِ مَنْ أمامه، وأَشْهَدهمْ على أدائهِ الأمانةَ، فشَهدوا: (**ألا هَلْ بلَّغتُ ؟ اللهُمَّ فاشْهدْ**) [٧].

وبالرغمِ مِن عداوةِ أعدائهِ له، إلا أن نعتَهُ بالأمينِ لمْ يَختفِ مِنْ كلامهم وعبَائرهم، واستئمَانَه على أموالهم وودائعهم لم يرتفعْ مِن تصرفاتهم، حتَّى إنهم ليأتمرون على قتله، وهم مؤتمنونَه على ما يحبونَ ويتعلَّقون مِنْ أموال، وأشياءَ ثمينةٍ، وودائعَ لها قيمةٌ عندهم.

وعقلُه، وما أدراكَ ما عقلُه !:

فقد بلغَ الكمالَ لأنَّه حملَ رسالةَ التمام والكمال. قال التابعي الثقةُ وهب بن منبه: (**قرأتُ في واحد وسبعين كتاباً، فوجدتُ في جميعِها أن اللّٰهَ تعالى لم يُعطِ جميعَ النَّاس، مِنْ بدء الدُّنيا إلى انقضائها، مِنَ العقل، في جَنْب عقل مُحَمَّد صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم، إلا كحبَّة رمل مِنْ جميع رمال الدُّنيا، وأنَّ مُحَمَّداً صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم أرجحُ النَّاس عقلاً، وأفضلُهم رأياً**) [٨].

ويدخل عليه أعرابيٌّ فطري، ويستمع إليه، فيخرج مسلماً، فيقول له قومُه: كيف عرفتَ أنَّه رسول اللّٰه ؟ فقال: (**ما أمرَ بأمر قال العقلُ: ليتُه نهَى عنه؛ ولا نهَى عن شيء قال العقل: ليتَه أمرَ به**) [٩].

---

[٧] أخرجه البخاري: كتاب الحج، الحديث ١٦٥٤.

[٨] رواه مختصراً إبراهيم بن محمد البيهقي، المتوفى سنة ٣٢٠ هجرية، في كتابه "المحاسن والمساوئ".

[٩] أخرجه الحاكم.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

بعد هذا كله فليس غريباً، بل هو عينُ الصواب والحق، اتجاهُ القلوب إليه وتعلُّقها وارتباطها به، وتعبيرُها عبر اللسان تعبيراً فريداً ليس له نظير في عالم المحبين لسواه مِنَ النَّاس.

يأتيه ثوبان ﷺ فيقول: يا رسول الله. إنّك لأحبُّ إليَّ مِنْ نفسي، وإنَّك لأحبُّ إليَّ مِنْ ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك، فما أصبر حتَّى آتي فأنظر إليك، وإذا ذكرتُ موتي وموتَك عرفتُ أنّك في الجنَّة مع النَّبيِّين، وأني لستُ كذلك، فبكيت خشيةَ ألاَّ أراك.

فلم يردَّ عليه النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم شيئاً، حتَّى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية:

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ النساء: ٦٩ [١٠].

وارتسمتْ فرحةُ الأمل باللقاء على مُحيَّا ثوبان، وعاد قريرَ العين.

فيا سَيِّدي يا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم:

الحبُّ لك، والصَّلاةُ والسَّلام عليك، والشَّفاعة لنا منك.

سلامٌ عليك في الأولين، وسلامٌ عليك في الآخرين، وسلامٌ عليك إلى يوم الدِّين.

محمود

---

[١٠] الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ١٧/٢.

الرِّسالة الثانية

سَيِّدي:
وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظيْم

أُمِرْتَ يا مُحَمَّد - صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم - فاستجبتَ ونفَّذتَ، وكُلِّفْتَ فأجَدْتَ وأحسنتَ.

دُعيتَ إلى الخُلُق فتحلَّيتَ بعظيمه، ونُوديتَ بالرَّحمة فتمثَّلتَها بأرحبِ ساحاتها، وأنْوَرِ إشعاعاتِها.

قال لك ربُّك سبحانه وتعالى:

﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ الحجر: ٨٨.

فخَفَضتَ وحقَّقْتَ.

وحثكَ على الرَّحمة بالمؤمنين:

﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ﴾ آل عمران: ١٥٩.

فكنتَ، بشهادته، الرؤوفَ بهم والرحيمَ.

وطلبَ منك العفو والصَّفح:

﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ المائدة: ١٣.

فسَبقتَ وسارعتَ؛ وكادتْ تَذهب نفْسُكَ حسراتٍ عليهم، وحرصاً

على نهايتهم الخيِّرة.

فلنعشْ في رحاب خُلُقك وأنتَ تدعو، وأنتَ تُطبِّقُ، وأنتَ محلُّ الإعجاب ممَّن حولك إذ يشهدون لك؛ ونحن عن الاستقصاء، واللّهِ عاجزون، وحسبُنا المثَلُ والمثَلان، والقصةُ والقصتان، والواقعةُ والواقعتان، فذاك نورٌ يُظهر الفضلَ، ويشيرُ إلى البحر، ويُغني أربابَ العقل وطلابَ النَّقل:

فإنْ تكلَّمتُ لم أنطقْ بغيركمُ وإنْ سَكَتُّ فشُغْلي عنكُمُ بكمُ

دعوتَ إلى الخُلُق فقلتَ: **(أكملُ المؤمنين إيماناً أحسنُهم خُلقاً، وألطفهم بأهله)** [1].

وناديتَ: **(اتَّقِ اللّهَ حيثما كنتَ، وأتْبِعِ السيئةَ الحسنةَ تمْحُها، وخالقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حسنٍ)** [2].

وأخبرتَ: **(إنَّ اللّهَ تعالى أوحى إليَّ أنْ تواضعوا، حتَّى لا يفخرَ أحدٌ على أحدٍ، ولا يبغي أحدٌ على أحدٍ)** [3].

وطبّقتَ فكنتَ النموذجَ والمثالَ:

يدخل عليك عمّارُ بنُ ياسر ﷺ فتستقبلُهُ عن بُعدٍ وقد عرفْتَهُ مِنْ صوتِهِ، وتقولُ لهُ: **(مرحباً بالطيِّب المطيَّب)** [4].

وتقبلُ عليكَ فاطمةُ الزَّهراءُ ابنتُك عليها السَّلام، تمشي كأنَّ مِشْيَتَها

---

[1] أخرجه الترمذي: كتاب الإيمان، الحديث ٢٦١٢. وأحمد: الحديث ١٠٠٦٢، ٣٩٣/٩.

[2] أخرجه الترمذي: كتاب البر والصلة، الحديث ١٩٨٧. وأحمد: الحديث ٢١٢٥١، ٥٠١/١٥.

[3] أخرجه مسلم: كتاب الجنة، الحديث ٢٨٦٥. وأبو داود: كتاب الأدب، الحديث ٤٨٩٥.

[4] أخرجه الترمذي: كتاب المناقب، الحديث ٣٧٩٨. وابن ماجه: المقدمة، الحديث ١٤٦.

مِشيتُك، فتقومَ لها، وتُجلسَها على يمينك، وتقولَ لها: **(مرحباً بابنتي)** [٥]، في وقت كانت البنتُ، في أحسنِ أحوالِها، مِنْ سقَطِ المتاعِ.

ولن ننسى زاهراً ﷺ؛ ذلك الفتى الذي آمنَ بكَ وأحبَّك، فبادلتَهُ أكبرَ وأكثرَ، يأتي المدينة المنوَّرة، وهو يقطنُ باديتَها، ببضاعةٍ ليبيعَها، فتزوِّدُهُ بهدايا آخرَ النَّهارِ، وتكرِمُهُ بكلمتِكَ الرَّائعةِ: **(زاهرٌ باديتُنا، ونحنُ حاضروهُ)** [٦]، فيروحُ وقد مُلئَ حُبَّاً وعطفاً ولطفاً.

وإنَّها للحظاتٌ غامرةٌ ساعةَ أتيتَهُ مِنْ خلفه، فوضعتَ كفَّيك الحانيتين على عينيه تمازحُهُ وتلاطفُهُ، فقالَ لكَ: أرسلْني، ولمْ يعرفْكَ، ثمَّ لمّا تبيَّنَ لهُ أنَّكَ أنتَ، راحَ يلصقُ ظهرَهُ بصدرِكَ متباركاً، يسمعُ منكَ دعابتَكَ: **(مَنْ يشتري هذا العبدَ ؟)**، فيجيبُك وقد غمرَهُ التَّواضعُ الساري منكَ إليه: إذاً تجدُني كاسداً يا رسولَ اللّه. وهنا تنفجرُ ينابيعُ الحبِّ والحنانِ والعطاءِ مِنْ صدرِكَ، لتقولَ الكلمةَ التي رافقتْه مدى الحياةِ، وانسابتْ في أذنِ الزَّمانِ: **(بل أنت عندَ اللّهِ غالٍ)** [٧].

وحينَ وَفَدَ وَفْدُ النجاشي خَدَمْتَهُ بنفسِكَ أيُّها العظيم، فقالَ الأصحابُ: نحنُ نكفيكَ يا رسول اللّه. فقلتَ: **(لا. إنَّهم كانوا لأصحابنا مُكرِمين، وأحبُ أنْ أكافئَهم بنفسي)** [٨].

---

[٥] متفق عليه. البخاري: كتاب المناقب، الحديث ٣٤٢٦. ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، الحديث ٢٤٥٠.

[٦] أخرجه ابن حبان، كتاب الحظر والإباحة، الحديث ٥٨٦٩.

[٧] المصدر السابق.

[٨] أخرجه البيهقي "شُعب الإيمان"، فصل في المكافأة بالصنائع، الحديث ٨٧٩٩. ورواه الرافعي في كتابه "التدوين في أخبار قزوين".

وما أعظمَك وأنت تقول: (**إني لأدخلُ في الصَّلاةِ أريدُ إطالتَها، فأسمعُ بكاءَ الصَّبي، فأتجوَّزُ في صلاتي، ممَّا أعلمُ مِنْ شدَّةِ وَجدِ أمِّه**) [٩].

حقاً:

وإذا رحمتَ فأنتَ أمٌ أو أبٌ هذانِ في الدُّنيا هما الرُّحماءُ

وهل يغيبُ عن بالِ الأيَّامِ يوم استشهد عثمانُ بنُ مظعونٍ ﷺ ؟ فوضعتَ رأسَهُ في حِجرِكَ، ورحتَ تقبِّلُهُ ودموعُكَ تسيلُ على خدِّ عثمان [١٠]، فكأنَّكَ؛ بل أنت، اليدُ الشافيةُ المعجزةُ التي يرجو النَّاسُ مرورَها عليهم.

ويحدِّثُنا الشَّابُّ عبدُ اللّهِ بنُ جعفرٍ ﷺ قال: أردفَني رسولُ اللّهِ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم خلفَهُ ذاتَ يومٍ، فإذا جملٌ، فلما رأى النَّبيَّ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم حنَّ وذرفتْ عيناهُ، فأتاهُ رسولُ اللّهِ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم فمسحَ ذِفْراهُ فسكتَ الجملُ [١١].

خُلُقٌ مالَهُ في الكونِ نظيرٌ، عمَّ الإنسانَ والحيوانَ والنباتَ والشَّجرَ والحجرَ.

كيفَ ترقَى رُقيَّكَ الأنبياءُ يا سماءً ما طاولتْهَا سماءُ
لم يُساووكَ في عُلاك وقد حا - لَ سناً منك دونهم وسناءُ
إنما مثَّلوا صفاتك للنَّا س كما مثَّل النجومَ الماءُ

---

[٩] متفق عليه. البخاري: كتاب الجماعة، الحديث ٦٧٧. ومسلم: كتاب الصلاة، الحديث ٤٧٠.

[١٠] الإصابة في تمييز الصحابة: ٤٦٢/٤.

[١١] أخرجه أبو داود: كتاب الجهاد، الحديث ٢٥٤٩. وأحمد: الحديث ١٧٥٤، ٣٦٩/٢.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

أنتَ مصباحُ كلِّ فضل فما تَصْـ ـدُر إلا عن ضوئك الأضواءُ
تتباهَى بكَ العصورُ وَتَسْمو بكَ علْياءٌ بعدَها علياءُ

وبعدها فقد توالت الشهادات أوسمةً مِنَ اللّٰه إليك، لتشعَّ ريادةً وقيادة للناس، إلى أن يَرِثَ اللّٰه الأرض وما عليها:

فمِنْ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم: ٤.

إلى: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ التوبة: ١٢٨.

إلى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ الفتح: ٢٩.

و: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ الإسراء: ١.

و: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ المنافقون: ١.

وشهادات مَن حولك، وهم يخالطونك شباباً وشيباً ونساءً، ولو أن لي ممَّا في الأرض مِنْ شجرٍ أقلاماً ما استطعتُ بها حصرَ شهادات قُدِّمتْ لجنابك، أهدتها القلوبُ والعقول، وحسبي أن أذكر هنا شهادةَ عليٍّ ﷺ إذ قال: (**كان رسولُ اللّٰه صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم أوسعَ النَّاس صدراً، وأصدقَهم لهجةً، وألينَهم عريكةً، وأكرمَهم عشرة**) [١٢].

وإقرارَ أنس ﷺ: (**كان رسولُ اللّٰه صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم أشدَّ النَّاس لطفاً، وما رأيت أحداً أرحمَ بالعيال مِنْ رسول اللّٰه ﷺ**) [١٣].

---

[١٢] أخرجه الترمذي: كتاب المناقب، الحديث ٣٦٣٨.

[١٣] أخرجه مسلم: كتاب الفضائل، الحديث ٢٣١٦.

واعترافَ عائشة رضي الله عنها: **(كان رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أبرَّ النَّاس، وأكرمَ النَّاس، بسَّاماً ضحَّاكاً)** [١٤].

وإعجابَ جرير بن عبد الله البَجلي ﷺ: **(ما حجبني رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم منذ أسلمتُ، ولا رآني إلا تبسَّم)** [١٥].

فلتهنَأ يا سَيِّد الخُلق الحَسَن، ولَنِعْمَ الأسوةُ أنت، وعسانا أنْ نهنأ بنظراتك لنا، فقد أطمَعَتْنا رحمتُك، وقرَّبنا لطفُك ونحن القُساة، والأملُ يبرق في قلوبنا مِنْ أجل أن نحظى بشفاعتك ونحن العُصاة.

فصلاةُ الله عليك يا سَيِّد النَّاس...

ويا أرحم النَّاس...

ويا أفضل النَّاس !

محمود

---

[١٤] أخرجه ابن سعد في "الطبقات الكبرى": ١/٣٦٥ .

[١٥] متفق عليه. البخاري: كتاب الجهاد، الحديث ٢٨٧١. ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، الحديث ٢٤٧٥.

الرِّسالة الثالثة

وكُنْ مِنَ السَّاجدِيْن

مَن رامَ العزَّ أسجدَ جبينَه لقيُّوم السَّماوات والأرَضين.

ومَنْ طلبَ المُنى أعلن عبوديتَه قَالاً وحالاً لخالق الإنسان مِنْ طين.

ومَنْ ابتغى السعادةَ في الدُّنيا والفلاحَ في الآخرة سبَّح اللّٰهَ في كل حين.

هذا ما أمر به ربُّ العزة عبدَه سَيِّدَ المرسلين صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم، إذ قال له:

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ الحجر: ٩٨-٩٩.

فردَّدَ المصطفى صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم هذا الأمرَ مبتهجاً مسروراً، حين قال: **(ما أوحيَ إليَّ أنْ أجمعَ المال وأكونَ مِنَ التَّاجرين، ولكن أوحيَ إليَّ أنْ سبِّحْ بحمد ربِّكَ وكُنْ منَ السَّاجدين)** [1].

وقد تحقَّقَ بذلك، فجاء الأمرُ مِنَ اللّٰه مؤكِّداً مؤكَّداً أنْ نِعم ما فعلتَ يا مُحَمَّد، فاستمِرَّ وتابعْ، واصبرْ وسارعْ:

---

[1] أخرجه السيوطي في "الدر المنثور": عند تفسير الآية، عن ابن مردويه والديلمي وغيرهما. وأخرجه أحمد بن حنبل في كتاب "الزهد"، الحديث ٢٣٥٥.

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ الكهف: ٢٨.

وحين نكشفُ الستارَ عن الواقع، نرى في تطبيقه صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم كلَّ رائع، ولئنْ كانت الزوجةُ أعرفَ مِنْ غيرها بحياة زوجها، فالسيِّدةُ عائشة رضيَ اللّٰهُ عنها تصفُ عبادتَه يوم سُئِلتْ عنها فتقول: **(كان عملُه ديمةً، وأيُّكمْ يستطيعُ ما كانَ رسولُ اللّٰه صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم يستطيعُ ؟)** [٢].

ويستقبلُ رسولُ اللّٰه صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم أمراً منَ اللّٰه حولَ العبادة محدَّداً بصلاة الليل:

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ الإسراء: ٧٩.

فيستجيبُ أيَّما استجابةٍ، وينادي بلالاً ﷺ مؤذنَه أن: **(أرحْنا بها يا بلال)** [٣]، ويُجلِّي سرورَه العميقَ بقوله صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم: **(وجُعلتْ قرَّةُ عَيني في الصَّلاة)** [٤].

ويحمِّلُ لياليَه أروعَ التَّعبُّدِ وأصدقَه، ويمزجُ معه أجملَ المعاني، وأرقَّ النَّسائم المنعشة لقلب الإنسان وروحه، فيقومُ مِنَ الليلِ ما يشاء اللّٰهُ أن

---

[٢] متفق عليه. البخاري: كتاب الرقاق، الحديث ٦١٠١. ومسلم: كتاب صلاة المسافرين، الحديث ٧٨٣.

[٣] أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، الحديث ٤٩٨٥. وأحمد: الحديث ٢٢٩٨٢، ٥١٩/١٦.

[٤] أخرجه النسائي: كتاب عشرة النساء، الحديث ٣٩٥٠. وأحمد: الحديث ١٢٢٩٥، ٢٥٦/٤.

يقومَ، حتَّى تتورَّمَ قدماه صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم، فتقول له زوجه رضيَ اللّٰه عنها: لقد غُفر لك ما تقدَّمَ مِن ذنبك وما تأخَّر ! فيقول صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم: (**يا عائشة. أفلا أكون عبداً شكوراً ؟**) [٥].

ويتهادَى الليلُ كلَّ يوم ليلفَّ الكونَ، ومُحَمد صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم يستقبله بصلاة نافلةٍ يوجِّهها لربِّ الليل والنهار، وينقلُ عنه صاحبُه عمَّار بن ياسر ﷺ تلك الحال، فيقول: (**رأيتُ حبيبي مُحَمَّداً صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم يصلِّي بعد المغرب ستَّ ركعات**) [٦].

ولا يختلفُ النهار، بالرغم مِنْ كلِّ أعبائِه، عن الليل في العبادة، إذ كان يصلِّي الضُّحى أربعاً ويزيد ما شاء اللّٰه [٧]، وقد حددتْ روايةٌ أخرى هذه الزيادة: (**كان ﷺ يصلِّي الضُّحى اثنتي عشْرةَ ركعةً**) [٨].

وحينَ ننظرُه صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم قبلَ النوم نجدُ الشفتين الشريفتين تتحركان بآي منَ الذكر الحكيم، تعبيراً عما طُبعَ في قلبه منه، فقد وردَ عنه أنَّه صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم: (**كان لا ينامُ حتَّى يقرأَ الإسراءَ والزُّمرَ والسَّجدةَ وتبارك**) [٩].

---

[٥] أخرجه البخاري: كتاب التفسير، الحديث ٤٥٥٧.

[٦] أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، الحديث ٧٣٧٩.

[٧] أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين، الحديث ٧١٩.

[٨] أخرجه الترمذي بلفظ: (من صلَّى الضحى اثنتي عشرة ركعةً بنى اللّٰه له قصراً في الجنة): كتاب الصلاة، الحديث ٤٧٣.

[٩] مجموع حديثين أخرجهما الترمذي: كتاب فضائل القرآن، الحديث ٢٩٢٠. وكتاب الدعوات، الحديث ٣٤٠٤.

وبين هذا وذاك، لا يفتأ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم يرددُ دعواتِ عبدٍ أحسنَ السجودَ والتّسبيحَ، يرفعُها للّٰه الرحمَن الرحيم، وكأنّي به يضعُ عملَه في ظرفٍ يريدُ إرسالَه مختوماً موقّعاً بجملةِ اعترافاتٍ عَبديَّةٍ واحتياجاتٍ إنسانيةٍ، لتلْقَى القَبولَ منَ الكريم الجَوَاد المكرِّم، الغفَّار للذنوب والهفَوات التَّقصيرية: (**إنِّي لأستغفرُ اللّٰهَ وأتوبُ إليه في اليوم أكثرَ مِنْ سبعين مرَّة**) [١٠].

ويؤكّدُ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم لَمَنْ حولَه أهمِّيةَ الاستغفار وفوائدَه: (**مَنْ لزمَ الاستغفارَ جعلَ اللّٰه لهُ مِنْ كلّ همٍّ فرجاً، ومِن كلِّ ضيقٍ مَخرجاً، ورزَقَه مِن حيث لايَحتسب**) [١١].

ويجْأرُ إلى اللّٰه تعالى قائلاً صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم: (**اللهمَّ اغفرْ ذنبي كلَّه، دِقَّهُ وجِلَّه، أوَّلَه وآخرَه، سرَّه وعَلانيتَه**) [١٢].

ويستعيذُ به مِنْ صفاتٍ لا تليق بالإنسان الخليفة حاملِ الأمانة: (**اللهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ مِنَ الهمِّ والحزَن، والعجزِ والكسلِ، والبُخلِ والجُبنِ، وضلَع الدَّين وغلَبةِ الرجال**) [١٣].

وأيضاً: (**اللهمَّ إنِّي أعوذُ بك منَ الشِّقاقِ والنِّفاقِ وسوءِ الأخلاق**) [١٤].

ويتابعُ دعاءَهُ ربَّهُ، الدّالَّ على عبوديته، ليسألَه صلَّى اللّٰه عليه وآله

---

[١٠] أخرجه البخاري: كتاب الدعوات، الحديث ٥٩٤٨.

[١١] أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، الحديث ١٥١٨. وابن ماجه: كتاب الأدب، الحديث ٣٨١٩.

[١٢] أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، الحديث ٤٨٣.

[١٣] أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، الحديث ١٥٥٥. والترمذي: كتاب الدعوات، الحديث ٣٤٨٤.

[١٤] أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، الحديث ١٥٤٦. والنسائي: كتاب الاستعاذة، الحديث ٥٤٨٦.

وسلَّم أجملَ الصِّفات وأحلاها: (**اللهمَّ إنِّي أسألكَ الهُدَى والتّقى والعفافَ والغنى**) [١٥].

وفي خاتمة هذا المطاف:

سَيِّدي رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم:

عبدتَ ربَّك حتَّى أتاكَ اليقينُ...

وسبَّحتَه وكنتَ منَ السَّاجدين...

وسألتَه فكنتَ أعبدَ السَّائلين...

وأجابكَ فكانَ لك خيرَ الملبِّين...

فهلْ عسانا أن نُذكر على لسانك مَشفوعاً لنا أجمعين، يومَ تقفُ أمام أرحم الراحمين، وهو يقولُ لك: (**سنُرضيكَ في أمَّتك ولا نَسوؤك**) [١٦] ؟

فالصَّلاة عليك والسَّلام، إلى آخر الأوقات ونهايات الأيَّام، يا سَيِّد الأنام.

محمود

---

[١٥] أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء، الحديث ٢٧٢١.

[١٦] أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، الحديث ٢٠٢.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

الرِّسالة الرابعة

مقَابَلةٌ ومُعَاهَدَةٌ

وأَفْترشُ الجفونَ وأنا أتقدَّم بين يَدَي سَيِّد أهل النُّهى وقرَّة العيون صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم، لأسألَه السؤالَ الشائعَ المشهور:

مَنْ أنت، يا أيُّها البَلْسم الشافي لجراحاتِ الأيَّام، وإصابات السنين ؟!

فمنك الجوابُ يَحلو، وينسابُ في عمْق القلوب والصدور، وعنكَ الحديثُ يجلو كلَّ آلام النفوس، وتوجُّعات الحياة، وآهات الشُّجون.

ونبدأ اللقاءَ عنك منك كلاماً، هو في كتاب اللّٰه آيٌ مِنَ الذِّكر المبين، ثمَّ نُردفُه بما أفصحتَ عنه، فكان وحياً غير متلوٍّ، اسمه الحديثُ النبوي الشريف الثمين.

فها نحن أولاء سيِّدي مُنصتون، وإلى جَنَابك مُصيخون، تتلو علينا مِنَ التَّنزيلِ الحكيم فبسم اللّٰه الرحمن الرحيم:

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ الأعراف: ١٥٨.

﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف: ١٨٨.

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ الحج: ٤.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ ص: ٦٥.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾

فصلت: ٦.

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ الأحقاف: ٩.

وبعدَها فلنستمعْ إلى حديثٍ نسجتَ حروفَه، فكان وشاحاً على صَدْر الزمن، يُطمئن أهلَه إلى مصداقيَّة مضمونه، إذ اصطبغَ بثقةٍ تعتمدُ على المرسِل الفعَّال المطلَق، الخالق القهَّار، المعطي العليم الحكيم:

(أنا مُحَمَّدٌ بنُ عبْد الله بنِ عبد المطّلب. إنَّ اللّهَ خلقَ الخلقَ فجعلَني مِنْ خِيْرَةِ خلْقه، وجعلَهم فرقتين فجعلَني في خير فرقة، وخلقَ القبائلَ فجعلَني في خير قبيلة، وجعلَهم بيوتاً فجعلَني في خيرهم بيتاً، فأنا خيرُكُم بيتاً وخيرُكم نفْساً) [1].

وإني لمطأطئٌ رأسيَ استحياءً منك يا سَيِّدي أقول: طبتَ نسَباً.

وها أنتَ ذا تقول أيضاً:

(أنا مُحَمَّدٌ، وأنا أحمَدُ، وأنا الماحي؛ يمحُو اللّهُ بيَ الكفرَ، وأنا الحاشرُ؛ الذي يُحشَر النَّاسُ على قدَمي، وأنا العاقبُ؛ والعاقبُ الذي ليسَ بعدَه نبيٌ) [2].

وإني لمتلئٌ بك إيماناً أقول: صدقتَ قولاً.

---

[1] أخرجه أحمد: الحديث ١٧٨٨، ٤٤٩/١.

[2] متفق عليه بألفاظ متقاربة. البخاري: كتاب التفسير، الحديث ٤٦١٤. ومسلم: كتاب الفضائل، الحديث ٢٣٥٤.

وما أروعك إذ تُعبِّر فتنادي:

(أنا سَيِّدُ وَلَدِ آدمَ يومَ القيامة، وأنا أولُ مَنْ ينشقُّ عنهُ القبرُ، وأنا أولُ شافعٍ وأولُ مُشفَّع) [٣].

وإني لواثقٌ بك دائماً أقول: أقررتُ حبّاً، فامنحْني الشفاعةَ فضلاً.

ولله درُّ عباراتٍ صدرتْ عنك قلتَ فيها:

(أنا سَيِّد وَلَدِ آدمَ يومَ القيامة، وبيدي لواءُ الحمْدِ ولا فخْرَ، وما مِنْ نبيٍ يومئذٍ، آدمُ فمَنْ سواه، إلا تحتَ لوائي) [٤].

وإني لفخورٌ باتِّباعي وانقيادي لك أقول: عَلوتَ قدْراً.

وما أعظمَ مكانتَك إذ قلتَ:

(أنا أولُ مَنْ يُحرِّكُ حِلَقَ الجنَّة، فيُفتَح فأدخلَها، ويدخلها معي فقراءُ المؤمنين) [٥].

وإني لمشتاقٌ إلى مَعيَّتكَ، فضعْني مع الفقراء، يا سَيِّدَهم والأغنياءَ.

وما أعظمَ مكانتَك إذ ناديتَ:

(أنا أولُ النَّاس خروجاً إذا بُعثوا، وأنا خطيبُهم إذا وفَدوا، وأنا مبشِّرهم إذا يَئِسُوا، لواءُ الحمْد بيدي، وأنا أكرمُ وَلَدِ آدمَ علَى ربِّي ولا فخرَ. أنا

---

[٣] أخرجه مسلم: كتاب الفضائل، الحديث ٢٢٧٨.

[٤] أخرجه الترمذي: كتاب المناقب، الحديث ٣٦١٥.

[٥] أخرجه الترمذي: كتاب المناقب، الحديث ٣٦١٦.

إمام النَّبيّينَ وخطيبُهم وصاحبُ شفاعتهم) [٦].

وإني بلسان الشافعيِّ أقول:

وممَّا زادني شـــرَفاً و عـــزَّاً وكِدْتُ بأخمصي أطأُ الثُّريَّا

دخولي تحتَ قولك: يا عبَادي وأنْ صيَّرتَ أحمدَ لي نبيًّا

وها أنا ذا أقفُ بين يديك، أرجوكَ قبولَ عهدي ومعاهدتي، فأنتَ خيرُ إنسانٍ يعَاهَد، بعد إذ كنت خيرَهم إذ عاهدتَ.

فهلاَّ تفضَّلتَ يا سَيِّدي وقَبِلْتَ ؟!

فالعهدُ إليك بعد ربِّك أن نحملَ الإسلامَ عقيدةً في القلب، ودعوةً في اللسان، وسلوكاً في الجوارح والأفهام.

وعهداً إليك يا رسول اللّٰه صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم، أنْ نسعَى لحبِّ ما أحببتَ، وفعلِ ماأمرتَ، وهجْرِ ما نهيتَ.

عهْداً إليك يا حبيبَ اللّٰه صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم، أنْ نتَّخذَ سيرَتك منهاجاً، وأنْ نقتبسَ مِنْ نورك ضياءً.

عهداً إليك يا أيُّها المختار صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم، أن نكونَ الأوفياءَ لشريعتك، القائمينَ عليها، الباذلينَ مِنْ أجلها كلَّ غالٍ ونفيس.

عهداً إليك يا خيرَ النَّاسِ...

يا أكرمَ النَّاس...

يا أصدقَ النَّاس...

---

[٦] أخرجه الترمذي: كتاب المناقب، الحديث ٣٦١٠.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

أنْ نَجِدَّ ليكونَ هَوَانا تَبَعاً لما جئتَ به، وأنْ يكون حبُّك أغلى الحبِّ، وأرفعَه وأرقاه وأحسَنه.

وسلامٌ عليك في الأولين، وسلامٌ عليك في الآخرين، وسلامٌ عليك إلى يوم الدِّين.

محمود

الرِّسالة الخامسة

سَيِّدي:
وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَم وكانَ فَضْلُ اللهِ عليْكَ عَظيْمَاً

سَيِّدي رسولَ الله، صلَّى الله عليه وآله وسلَّم:

على قَدْر التَّحمُّل يكون الأداءُ، وبحسْب الشهادة تكون المهمَّةُ، علَّمكَ ربُّك بفضلٍ عظيم، فكنتَ للبشرية رسولَها الكريم، وأيُّ النَّاس كانَ له هذا الاصطفاءُ ؟

ومَن منهم تعلَّق به أزلاً هذا الاقتضاء ؟

فاقَ علمُكَ علمَ النَّاس، لأنَّ المولى تولَّى تعليمَك !

ورجحَ عقلُك عقولَهم، لأنَّ الحكيمَ تدبَّر تكوينَك !

وفي الحالين كانت لك خصوصيَّةُ المباشرةُ والملاحظة.

فُضْتَ بما لم يفض أحدٌ مِنَ النَّاس، وأيُّهم قادرٌ على أن يقولَ ما قلتَه يوم روى عنك حذيفة بن اليمان ﷺ فقال: (**لقد خطبَنا النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خطبةً ما تركَ فيها شيئاً إلى قيام السَّاعة إلا ذكره، عَلِمَهُ مَن عَلمَه، وجَهِلَه مَن جَهلَه. إنْ كنتُ لأرَى الشيءَ قد نسيتُ، فأعرفُه كما يعرفُ الرَّجلُ الرَّجل إذا غابَ عنه، فرآه فعرَفَه**) ؟ [1]

---

[1] أخرجه البخاري: كتاب القدر، الحديث ٦٢٣٠.

ويوم قال هو ذاتُه أيضاً: **(واللّهِ ما أدري أنسيَ أصحابُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أم تنَاسَوا ؟! واللّهِ ما تركَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مِنْ قائدِ فتنةٍ إلى أنْ تنقضيَ الدُّنيا، يَبْلغُ مَن معه ثلاثمئةٍ فصاعداً، إلا سمَّاه لنا رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم باسمه واسم أبيه واسم قبيلته)** [٢].

ولن ينسى التَّاريخُ، ذاكرةً ووعياً وسجلاتٍ وكتباً، أنك النَّبيُّ الخاتمُ، والمتلقِّي الأكملُ، والموحَى إليه الأكرمُ، شغلَ الأنبياءُ والمرسلون إخوانُك حلقاتِ البداية في سلسلة قيادةِ البشرية عَبْرَ الزمن، ووُكِلَ إليك أمرُ الحلقات الأخيرة فيها، ولئنْ كان لكلِّ نبي حلْقةٌ فإنَّ لك فيها أهمَّ الحلَقات.

ولقد توارثنا جيلاً بعد جيل ما حدَّثتَ به أصحابك، لتؤكِّد لهم قيادتَك لما بقي مِنْ حلَقات الزمن إلى يوم القيامة، واطِّلاعَك على ما مضَى منها، فعن أبي زيد الأنصاري ﷺ قال: **(صلَّى بنا رسولُ اللّهِ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صلاةَ الصبح ثمَّ صَعِد المنبرَ، فخطبَنا حتَّى حَضَرت الظهرُ، ثمَّ نزلَ فصلَّى الظهرَ، ثمَّ صعِد المنبرَ فخطبَنا حتَّى حَضَرت العصرُ، ثمَّ نزل فصلَّى العصرَ، ثمَّ صعِد المنبرَ فخطبَنا حتَّى غابت الشمس، فحدَّثنا بما كان وبما هو كائنٌ، فأعلَمُنا أحفَظُنا)** [٣].

وأكَّدتْ هذه روايةُ أبي سعيد الخدري ﷺ حينما قال: **(صلَّى بنا**

---

[٢] أخرجه أبو داود: كتاب الفتن والملاحم، الحديث ٤٢٤٣.

[٣] أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، الحديث ٢٨٩٢.

رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صلاةَ العصر، ثمَّ قام خطيباً بعد العصر إلى مغرب الشمس، حَفظَها مَن حفظها، ونسيَها مَن نسيها، وأخبرَ فيها بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة) [٤].

ويأتي التَّأكيد ثالثةً مِنَ المغيرة بن شعبة إذ يقول: **(قامَ فينا رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مَقاماً، فأخبرَنا بما يكون في أمَّته إلى يوم القيامة، وَعَاهُ مَنْ وعاه، ونسيَه مَن نسيَه)** [٥]، ورابعةً وخامسةً وسادسةً مِنْ أصحابٍ آخرين.

فيا سَيِّدي يا رسولَ الله، صلَّى الله عليه وآله وسلَّم:

عُلِّمتَ كلَّ شيء، وحُفِّظتَ كلَّ أمر، ومُنحْتَ ما لم يُمْنَحْهُ أحدٌ منَ البشر، أقنعتَ مَن حولك بذلك إذ حدَّثْتَهم، ونبَّأتَ مَن بَعدك فسلَّموا إذ أُخبروا. فهل بعد هذا الفضل مِن فضل ؟!

لقد قالَ أبو ذرٍّ رضي الله عنه: **(لقد تركَنا رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وما يحرّكُ طائرٌ جناحيه في السَّماء إلا ذكرَ لنا منه علماً)** [٦].

وفي الختام:

مَن أنكر فإنَّما ينكرُ فهمَه، ومَن أثبتَ فإنَّما يُثبت عقلَه، وحسبُنا أن نرددَ:

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ المؤمنون: ٦٩.

---

[٤] أخرجه أحمد: الحديث ١١٥٢٤، ١٩١/١٠.

[٥] أخرجه أحمد: الحديث ١٨١٤٠، ١٠٨/١٤.

[٦] أخرجه أحمد: الحديث ٢١٢٥٨، ٥٠٣/١٥.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

ونؤكِّدَ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ المنافقون: ١.

ونقفُ بإجلالٍ أمامَك يا حبيبَ الحقِّ وشاهدَ الخلقِ، قائلين:

أنتَ أكبرُ مِنْ أنْ تضمَّ صفاتِك صفحاتٌ، وتجمعَ مزاياكَ كتبٌ ومؤلفات، وأعظمُ مِن أنْ نضعكَ رأسَ صفحةِ القادة وطُغرَاءَ العظماء والسَّادة، ولئن كانت الأمةُ مساويةً لغيرك في معادلةٍ إنسانيةٍ فيها الخطأُ محتمَلٌ، فإنَّك يا رسولَ اللّه تفوقُ في التَّكوين والأسرار مجموعَ الأمم، عبر معادلةٍ نقليةٍ صحيحة:

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ النساء: ٤١.

وإنَّ فضْلَ رَسُولِ اللّهِ ليسَ لهُ حَدٌّ فَيُعربَ عنهُ ناطقٌ بفَمِ

زادكَ اللّهُ العلاَّم في كلِّ عوالمِ الحَال والمآل، وعلَّمكَ في كلِّ الأحوال، لأنَّك المتَرقِّي في سُلَّم الكمال، إلى أنْ يقال لكَ في مقام الثَّناء حيث لا أحدَ إلا أنت:

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ الضحى: ٥.

سلامٌ عليك، وسلامٌ على كل ذرَّة فيك، وسلامٌ على نورك السَّاري، وجمالك الباهي، وجنابك السَّامي، إلى يوم الحساب والثواب، يا خيرَ قاصٍ ودانٍ.

محمود

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

الرِّسالة السَّادسة

سَيِّدي:
اللهُ أعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَه

سَيِّدي رسولَ الله، صلَّى الله عليه وآله وسلَّم:

أنتَ محطُّ العنايةِ، ومجلَى الهداية، اِصْطُفِيتَ بعِلمٍ، وأُرسلتَ بحكمةٍ، ونُوديتَ لتُنادي، وبُلِّغْتَ لتُبلِّغْ.

خُتِمَتْ بك الرسالاتُ والنبوَّات، وغدتْ رسالتك خاتمةً باقية إلى يوم القيامة، وأضحَيْتَ بسيرتك الأسوةَ التَّامَّة.

فيا خيرَ مُرسَل، وأكرمَ مُصطفىً صلَّى الله عليه وآله وسلَّم:

هذه بعضُ معالمك؛ إنْ قدَّمتُها اليوم، فمِن أجل رضىً أحوزه، وإن حدَّدتُ شيئاً مِن نورك، فلأني أسعَى إلى الاستهداء بقَبَسك، وأجِدُّ في فتح عيني إلى بعض إشعاعك.

سَيِّدي رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم:

اقْبَلْ مناجاتي إذ أنسجُ حروفَها حولَ النسب المعطَّر، والسَّبب المطهَّر، والحمايةِ الإلهية، والعناية الربانيَّة، والطبِّ الشَّافي، والحبِّ الصافي، والظاهرِ المجمَّل، والباطن المكمَّل، والبصرِ النافذ، والبصيرة المنوَّرة؛ وكلُّ ذلك مِنْ خلال حديثك وبعض كلماتك.

فأمَّا نَسَبُكَ المُعَطَّر:

فقد قلتَ: **(إنَّ اللّٰهَ اصطفَى مِنْ ولد إبراهيمَ إسماعيلَ، واصطفَى مِن بني إسماعيلَ بني كنانةَ، واصطفَى مِن بني كنانة قريشاً، واصطفَى مِن بني قريش بني هاشم، واصطفاني مِن بني هاشم)** [1].

فهل بعد هذا مِن عطر ؟! وهل بعد هذا العَبَق مِنْ رائحةٍ تستطيع الظهور ؟! إلا إذا سمح لها عطرُك الأصيل، وأريجُك النَّبيل.

وأمَّا السَّببُ المطهَّر:

فليتَ شِعري إنْ كنتُ أقدرُ على رسْم ما صدرَ عنك، إذ تُحَدِّث به عن ذاتك وصفاتك، لكني سأرصد، كمَن يفتح النوافذَ لضياء الشمس، وينعش كلَّ المساحات والمسافات.

لقد قلت يا سَيِّدي: **(أنا مُحَمَّدٌ، وأنا أحمَدُ، وأنا الماحي؛ يمحُو اللّٰهُ بيَ الكفرَ، وأنا الحاشرُ؛ الذي يُحشَر النَّاسُ على قدَمي، وأنا العاقبُ؛ والعاقبُ الذي ليسَ بعدَه نبيٌّ)** [2].

نعمْ. أنت سماءٌ ما طاولَتْها سماء، وأنت بشرٌ ولستَ كالبشر، بل أنت ياقوتةٌ، والنَّاس كالحجر.

وأمَّا الحمايةُ الإلهيَّة:

فليستْ خافيةً على ذي عينين، أو شِبْهِهما؛ صَمَّم ألدُّ الأعداء النيلَ

---

[1] أخرجه الترمذي: كتاب المناقب، الحديث ٣٦٠٥.

[2] متفق عليه. البخاري: كتاب التفسير، الحديث ٤٦١٤. ومسلم: كتاب الفضائل، الحديث ٢٣٥٤.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

منك، فعاد مذعوراً خائفاً: لئنْ رأيتُه يصلِّي - وهكذا قالَ أبو جهل - لأطأنَّ على رقبته، أو لأعفِّرنَّ وجهَه بالتُّراب، وأتى رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهو يصلِّي ليطأ على رقبته، فما فَجَأَهم منه إلا وهو ينكفىءُ على عَقِبَيه، فقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: (**لو دنَا مني لاختطفته الملائكةُ عُضواً عضْواً**) [٣].

وإذا حمَى اللهُ عبداً باءتْ محاولات كلِّ المعتدين بالفشل، وذهبتْ بوائقُهم لتعودَ بأشدَّ عليهم:

﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ النساء: ١٤١.

وأمَّا العنايَةُ الربَّانية:

فتتجلَّى في تجنيد كلِّ المخلوقات، وتسخير الله لمحلِّ العناية قدرتَه، فبالله يَمشي، وبالله يَحكي، وبالله ينطق، وبالله يُقنع، وبالله يُعطي، وبالله يَمنع؛ يروي ابن مسعود رضي الله عنه فيقول: (**كنَّا نسمعُ تسبيحَ الطعام وهو يؤكل، في حالِ أكلنا مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم**) [٤].

ويصعد النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أُحُداً، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فيرجُف أُحُدٌ، وإذْ بمَنْ حفَّته العنايةُ الربَّانية، وشملَته المحبَّة الإلهية الخاصَّة، يقول لأُحد: (**اثْبُتْ أُحد. فإنَّما عليك نبيٌّ**

---

[٣] أخرجه مسلم: كتاب صفة القيامة، الحديث ٢٧٩٧.

[٤] أخرجه البخاري: كتاب المناقب، الحديث ٣٣٨٦.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

وصدِّيق وشهيدان) [٥]، فيثبتُ وليس له ألاَّ يَثبُتَ، لأنَّ الآمر يتكلَّم باسم اللّه، ويأمرُ وقد تجلَّى على لسانه اللّهُ، فغدا الحالُ:

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ الأنفال: ١٧.

سَيِّدي يا أبَا البَتول صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم:

طبُّك شافٍ، وحبُّك صَاف؛ لقد فتحَ اللّه بك العيونَ والقلوب، وأجرَى على يديك ألطافَه، فكان بعضُ ريقك بلسماً، وشيءٌ مِن فمك أصفَى الشَّهْد، إذا استلزَمتْهُ لَمَى الظامئين.

لن ينسى التَّاريخ لك موقفاً في خيبر إذ ناديتَ: **(لأعطينَّ الرايةَ غداً رجلاً يفتحُ اللّه على يديه، يحبُّ اللّهَ ورسولَه، ويحبُّه اللّهُ ورسولُه)**.

فلما أصبحَ النَّاسُ غدَوا على رسول اللّه صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم كلُّهم يرجو أنْ يُعْطاها، فقال صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم: **(أين عليٌّ بن أبي طالب ؟)** كرَّم اللّه وجهه. فقالوا: في بيته يشتكي عينَيه. فقال صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم: **(أرسلوا إليه)**. فأتى، فبصَق في عينيه، فبَرىء كأنْ لم يَكُن به وجع [٦].

وها هو ذا أبو هريرةَ ﷺ يشكو إليك نسيانَه، فيقول: إنِّي أسمعُ منكَ حديثاً كثيراً فأنسَى، فأحبُّ ألاَّ أنسى. وإذ بك تقول له: **(ابسطْ رداءَك)**،

---

[٥] أخرجه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، الحديث ٣٤٧٢.

[٦] متفق عليه. البخاري: كتاب فضائل الصحابة، الحديث ٣٤٩٨. ومسلم: كتاب الفضائل، الحديث ٢٤٠٦.

فبسَطه، فقذفتَ بيدك الشريفةِ مِنَ الهواء في الرداء، ثمَّ قلتَ له: (**ضُمَّه**)، فضمَّه، فقال أبو هريرة: فما نسيتُ شيئاً بَعْدُ [٧].

ظاهرك المجمَّل:

فإنْ وقفتُ مسائلاً عن ظاهرك المجمَّل، حدَّثني البراءُ بن عازب ﷺ فقال يوم سُئل: أكانَ وجهُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مثلَ السيف ؟. فأجاب: (**لا. بل مثل القمر**) [٨].

وحدّثني كعبُ بن مالك ﷺ أيضاً، ليقول عنك سَيِّدي رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: (**إذا سُرَّ استنارَ وجهُه كأنّه قطعةُ قمر**) [٩].

وها هو ذا أنس بن مالك ﷺ يقول ويتحدَّى، وحَقَّ له ذلك: (**ما شَمِمتُ مِسكةً ولا عنبرةً أطيبَ مِن رائحة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم**) [١٠].

وأمَّا الباطن المكمَّل:

فما أعظمَه ! وما أكملَه ! وما أشدَّ بهاءَه ونورَه وسنَاه ! فلن أنسى ما حدثتَنا به، يا أبا الزَّهراء، إذ قلتَ: (**بينما أنا في الحَطيم، إذ أتاني آتٍ، فشقَّ ما بين هذه وهذه، فاستخرجَ قلبي، ثمَّ أُتيتُ بطستٍ مُلِئَ حكمةً**

---

[٧] أخرجه البخاري: كتاب المناقب، الحديث ٣٤٤٨.

[٨] أخرجه البخاري: كتاب المناقب، الحديث ٣٦٣٦.

[٩] متفق عليه. البخاري: كتاب المناقب، الحديث ٣٣٦٣. ومسلم: كتاب التوبة، الحديث ٢٧٦٩.

[١٠] متفق عليه. البخاري: كتاب الصوم، الحديث ١٨٧٢، بلفظ: (ولا عبيرة). ومسلم: كتاب الفضائل، الحديث ٢٣٣٠.

وإيماناً، فغسلَ قلبي، ثمَّ حُشي، ثمَّ أعيد) [١١].

لقد فديتُك بنفسي، وأشبعتُ كلَّ جوارحي مِنْ بعض شعاعٍ صدرَ عن ثغرك، ويقظةٍ امتلأ بها قلبُك، فأنتَ صاحبُ القلب الأكمل مِن بني الإنسان: **(يا عائشة. إنَّ عينيَّ تنامان، ولا ينام قلبي)** [١٢].

يا صاحب البصر النافذ، والبصيرةِ المنوَّرة والمنوِّرة.

يا مَن أُريتَ فضلاً لا يُعطاه أحد، فأنت الأول في الخلق قدْراً، وإن كنتَ آخر الأنبياء بَعْثاً، وأنت الخاتَم، وإليك تَنتسب كلُّ بدايةٍ لِتَشْرُفَ، فتفضَّل ياسَيِّدي وحدِّثنا عن بعض ما اخْتُصِصتَ به، وإنَّا لكلِّ حرف منك واعون، ولكلِّ كلمة راعون.

وهل تسمح ياسَيِّدي أن أنقل عنك الآن حديثاً أسَرَني، وكلاماً انصبَّ في رَوعي ؟ فَهِمْتُ فيك مقدِّراً معظِّماً:

(إنَّ الله زوَى ليَ الأرضَ، فرأيتُ مشارقَها ومغاربَها، وإنَّ أمتي سيبلغُ ملكُها ما زُويَ لي منها) [١٣].

(هل تَرون قبلتي ها هنا ؟ فوَالله ما يَخفَى عليَّ ركوعُكم ولا سجودُكم، إنِّي لأراكم مِن وراء ظهري) [١٤].

---

[١١] أخرجه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، الحديث ٣٦٧٤.

[١٢] متفق عليه. البخاري: كتاب صلاة التراويح، الحديث ١٩٠٩. ومسلم: كتاب صلاة المسافرين، الحديث ٧٣٨.

[١٣] أخرجه مسلم: كتاب الفتن، الحديث ٢٨٨٩.

[١٤] متفق عليه. البخاري: كتاب صفة الصلاة، الحديث ٧٠٨. ومسلم: كتاب الصلاة، الحديث ٤٢٤. واللفظ له.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

أيُّها الأكرمُ...

أيُّها الرؤوف الرحيم بنا...

أيُّها المختار، أيُّها الحريص علينا...

أيُّها المجبولُ على الفضيلة، والفضيلةُ غَدَتْ بعضَك...

أيُّها الرحمةُ المهداة: ما أرعاك للعهد! وما أوفاك!

أشرفتَ يوماً على أُطْم مِنْ آطام المدينة المنورة وقلتَ:

(هل تَرون ما أرى؟). قالوا: لا. فقلتَ: **(فإنِّي لأرَى مواقعَ الفتن خلال بيوتِكم كمواقع القطْر)** [15].

في آخر هذه الرسالة أردِّد قولَ اللّٰه العليِّ الأعلى فيك يا سَيِّدي:

﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ الأنعام: ١٢٤.

فنِعمَ مَن اختار، ونِعْمَ من اخْتير، ونِعْمَ المرسَل، وأَكْرِمْ بمَن أعطى، وطوبى لأفضل مَن أُعطي.

والسَّلام عليك في الأولين والآخرين، وفي يوم الدِّين.

محمود

---

[15] متفق عليه. البخاري: كتاب فضائل المدينة، الحديث ١٧٧٩. ومسلم: كتاب الفتن، الحديث ٢٨٨٥.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

الرَّسالة السَّابعة

أنا النَّبيُّ لا كَذب، أنا ابنُ عبْد المطَّلب

يا أيُّها الصَّادق المصدُوق صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:

أنت حقٌّ في نبوَّتك، حقٌّ في رسالتك، حقٌّ في كلِّك !

حُزْتَ الخيرَ كلَّه، ونِلْتَ المجدَ أعلاه، وسبقتَ النَّاس جميعاً قُرباً إلى اللّٰه تعالى، فكنتَ الأولَّ فيهم.

وإذا كانتْ لدى كلِّ إنسان نِقاطٌ عليا، تمثِّلُ أهدافاً يسعى للوصول إليها، فإنَّما هي ضمن حدود التَّطلُّعات البشرية وما يمكن أن يصيبَه الإنسانُ الطموح الفاهم العاقل.

لكننا إذ نذكرُ النِقاط العليا لرسول اللّٰه صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم، نراها خارجَ حدود القدرةِ والعبقرية والذكاء، فندرك حينها أنَّها لم تأتِ مِن مَحْض تفوُّقِه الإنسانيِّ وامتيازه البشريِّ، ولكنها أتتْ نتيجةَ اصطفاءِ الحقِّ عزَّ وجلَّ له رسولاً إلى يوم القيامة، وأسوةً حسنةً إلى يوم الدِّين.

وإلاَّ، فمَنْ مِن الطامحين يستطيع أن يضعَ في أعلى مشاريعِ طموحِه مِنَ الأقوال والأفعال كتلك التي صدرتْ عنه ؟ ومِنَ المديح كهذا الذي قيل فيه ؟

مَن الذي يجرؤ على أنْ يقول: (**أنا خيرُ أصحاب اليَمين، أنا خيرُ**

السَّابقين، أنا خيرُ ولَد آدمَ وأكرمُهم على اللهِ ولا فخر) [1]، إلا هو صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ؟

ومَن سواه يقدر على أنْ يُعلن ما أعلنَه حين قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: **(أنا أكرمُ الأوَّلين والآخِرين ولا فخر)** [2] ؟

أخبريني أيَّتها الدُّنيا عن إنسان يمكن أنْ يقولَ متحدِّياً ومبيِّناً بقوة: **(أنا سَيِّد وَلَدِ آدمَ يومَ القيامة، وأنا أوَّلُ مَن ينشقُّ عنه القبرُ، وأنا أوَّلُ شافع، وأوَّلُ مُشفَّع)** [3]، إنْ لم يكن مُحَمَّداً صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

مَن الذي يقْدرُ أنْ يقولَ، سوى الحبيبِ الأعظم مُحَمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: **(هل تَرَون قِبلتي ها هنا، فَوَالله ما يخفَى عليَّ ركوعُكم ولا سجودكم. إنِّي لأراكم مِن وراء ظهري، إنِّي لأَنْظرُ مِن ورائي كما أنظر إلى ما بين يَدَي)** [4] ؟!

مَن هذا الذي يفعلُ ما يفعلُه النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذ تنامُ عيناه ولا ينامُ قلبه ؟ كما أخبرَ هو عليه الصَّلاة والسَّلام عن نفسه: **(تنام عينيَّ ولا ينامُ قلبي)** [5].

مَن الذي يستطيع أن يتحدَّث عن حاله في البرزخ وما سيجري له ؟ إلا

---

[1] أخرجه الطبراني: في المعجم الكبير، الحديث ١٢٦٠٥.

[2] أخرجه الترمذي: كتاب المناقب، الحديث ٣٦١٦.

[3] أخرجه مسلم: كتاب الفضائل، الحديث ٢٢٧٨.

[4] متفق عليه. البخاري: كتاب صفة الصلاة، الحديث ٨٠٧. ومسلم: كتاب الصلاة، الحديث ٤٢٤.

[5] متفق عليه. البخاري: كتاب صلاة التراويح، الحديث ١٩٠٩. ومسلم: كتاب صلاة المسافرين، الحديث ٧٣٨.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

المصطفى الحقُّ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم إذ قال: (**إنَّ اللّٰه وكَّل بقبري ملَكاً أعطاه اللّٰه أسماع الخلائق، فلا يصلِّي عليَّ أحدٌ إلى يوم القيامة إلا أبلغني باسمه واسم أبيه، هذا فلان ابن فلان قد صلَّى عليك**) [٦].

هذا بعضُ ما صدرَ عنه قولاً.

وأمَّا مَا قيل عنه مدحاً وتقديراً فأَعْظِم بذلك وأَكْبِر !

لقد كان محلَّ تعظيمٍ مِن قِبَل الخالق العظيم جلَّ شأنه، إذ قال عنه، بل له صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم: ٤.

كما كان موضعَ رفْعِ ذكرٍ رفيعٍ فريد، مِنْ قِبَل الرافع المطلَق الجليل عزَّ شأنه، إذ خاطبَه:

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ الشرح: ٤.

وبعدَها حدِّثْ عن الملائكة يوم مدَحَتْه وقالت في حقِّه ما قالت، فها هو ذا ملَك الوحي وصاحبُه جبريلُ عليه السلام يعلن ويقول:

(**قلَّبتُ مشارقَ الأرض ومغاربَها، فلم أرَ رجلاً أفضلَ مِن مُحَمَّد صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم، ولم أرَ بني أبٍ أفضلَ مِن بني هاشم**) [٧].

ثمَّ يُتابع في موقف آخر ليخاطبَ البُراق ليلةَ الإسراء، وقد استصعبَ

---

[٦] أخرجه البزار عن عمار بن ياسر رضي الله عنه، الحديث ١٢٦٨.

[٧] أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، الحديث ٦٣٩٦.

على مُحَمَّد صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم: (**بمُحَمَّد تفعلُ هذا ! فما ركبَكَ قطُّ أحدٌ أكرمُ على اللّه منه. فارْفَضَّ البُراقُ عرَقاً**) [٨].

ثمَّ لِجْ غِمارَ الأقوال المادحةِ له، والصادرةِ عن مختَارين في عالم الإنسان، لنقفَ على مدحٍ لا يمكن أن يكون لغير المصطفى المجتَبى، رسولِ اللّه مُحَمَّدٍ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم.

فمَن الذي يمكن أن يُقال له مِنْ قِبَل عقلاءَ فاهمين، كما قيل لرسول اللّه صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم ؟ والأقوال في هذا جِدُّ وفيرة.

ومَن الذي مدحه أعداؤه والبعيدون عنه رغماً عنهم، كالنَّبيِّ مُحَمَّد ابنِ عبد اللّه صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم ؟!

مَن الذي حَظيَ بمساحةِ مديح متنوعةِ المصادر والمشارب، كالنَّبيِّ مُحَمَّد صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم ؟!

وأمَّا ما صدر عنه فعلاً، فاسأل التَّاريخَ عن نِتاجه، والدُّنيا عن ثماره.

لقد خاض على مستوى الحرب ستاً وعشرين معركةً، في فترة زمنية قياسية، تقدَّر بعشر سنواتٍ تقريباً، وأرسل خمساً وأربعين سَريةً في السِّياق الزمني نفسِه.

وأمَّا ما يخُصُّ مستوى السَّلام والسِّلم، فلقد أصَّل وطبَّق قواعدَ الحنيفية السَّمحة في ميدان الحياةِ الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فكانت تجربةً ناجحة رائدة على مستوى الإنسان والواقع، وحركةً

---

[٨] أخرجه الترمذي: كتاب تفسير القرآن، الحديث ٣١٣١.

تقبل التَّعميم في الحياة كلِّها زماناً ومكاناً، مُتَّسِعَيْن لكل إنسان ولكل النَّاس، وليس الكلام خبراً عن قصة جرَتْ، إنما الشواهدُ باقيةٌ والأصول شاهدةٌ على صحَّة ما قلنا وذكرنا.

لقد نادى رسول اللّٰه صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم صراحة، وأعلن جَهرةً أنَّه رسولُ اللّٰه صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم، وأنه يُوحى إليه منَ اللّٰه، بثقةٍ لا يُعرف لها نظيرٌ، وباقتدار لا يُعْهَد له مثيل:

(ما منَ الأنبياءِ نبيٌّ إلا أُوتيَ منَ الآيات ما مثلُه آمنَ عليه البشرُ، وإنَّما كان الذي أوتيته وحياً أوحَاه اللّٰه إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرَهم تابعاً يوم القيامة) [٩].

هل عهدتم كهذا التَّصريح وذاك الإعلان ؟!

أم هل رأيتم مَن يعبِّر مثلَ هذا التَّعبير الذي ينُمُّ عن وصفٍ لرباط المرسَلين، وصلةِ الأنبياء والموحَى إليهم ؟

وأخيراً: أين مَنْ نُقل عنه بأنَّه انشقَّ القمر دعماً له، إلا رسولَ اللّٰه صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم ؟ وقد أشهدَ النَّاسَ على هذا.

يروي عبد اللّٰه بن مسعود ﷺ: انشقَّ القمرُ على عهد رسول اللّٰه صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم فرقتين، فرقةً على الجبل وفرقةً دونه. فقال النَّبيُّ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم: **(اشهدوا)** [١٠].

---

[٩] متفق عليه. البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب، الحديث ٦٨٤٦. ومسلم: كتاب الإيمان، الحديث ١٥٢.

[١٠] أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، الحديث ٤٥٨٣.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

وأين مَن حرَّك الجماداتِ بعون اللّٰه، لتتَّصلَ مع الإنسان ضمن قنوات سُنن الإنسان ؟ فعن عبد اللّٰه بن مسعود ﷺ أنه قال: (**كنَّا نسمعُ تسبيحَ الطعام وهو يُؤكل في حال أكلنا مع رسول اللّٰه صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم**) [11].

أين ذاك السَّاري كإسراء الرَّسول العظيم مُحَمَّد صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم ؟ وأين مَن عُرِجَ به كعُروجه ؟!

أين مَن قدَّم للناس كتاباً قال عنه: إنَّه مِن عند اللّٰه، وكان صادقاً ؟ فبقي الكتاب واستمرَّ وانتشر، ولا تزال الأيَّامُ حافلةً بانتشاره وامتداده.

مِن أيِّ جهة أتيتَه وجدتَه رسولَ اللّٰه الصادقَ الأمين؛ فاجْهَدْ مِن أجل أن تكونَ مِن أتباعه الأوفياء، مؤتسياً بمَن قبلك كذلك، ولا تتَّجه في الوصول إلى اللّٰه إلى سواه، فهو بابُ اللّٰه، وهو رسولُه حقاً وصدقاً وعدلاً، صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم.

محمود

---

[11] أخرجه البخاري: كتاب المناقب، الحديث ٣٣٨٦.

الرِّسالة الثامنة

قالُوا عنكَ يا سَيِّدي يا رسولَ الله

سَيِّدي رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم:

أنتَ صاحبُ الفضلِ على الدُّنيا بعد الله، بل أنتَ الذي أُعطيتَ فضلاً لا يُتاح لمرسَل، واللهُ يعطي الفضلَ كيف ولِمَن يشاء.

لقد شهدَ لك بالفضل الكبيرِ مَنْ سبقكَ مِن الأنبياء إذ بشَّروا أقوامَهم بك، وكذلك الملائكةُ في الملإ الأعلى، وتتابع الشاهدون والشهداءُ والمقرُّون فكانوا التَّابعين، ولحقَهم مَنْ بَعدهم مِنَ المؤمنين، إلى يوم الدِّين، فكلُّهم يرفع هامتَه، ويُعلي كلمته وهو ينادي:

لا إلهَ إلا اللهُ مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ

فيا سيِّد الخلقِ ويا رسولَ الحقِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم:

اسمحْ لي هنا أن أنقلَ شهادةَ أناس لم يُسلِم ظاهرهم، وكانَ لهم دورٌ، بل أدوار، في أممهم وبلادهم وشعوبهم في ميادين الحياة المختلفة، ومجالاتها المتنوعة.

فهل أبدأ يا صاحب السِّيادة في الدُّنيا والآخرة على النَّاس كلِّ النَّاس ؟

يقول راسل، أكبر فلاسفة بريطانيا، والحاصل على جائزة نوبل عام ١٩٥٠:

إن مُحَمَّداً نبيَّ المسلمين إنَّما جاءَ للبشر جميعاً، فكيف يُهين إنسانٌ

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

إنساناً قبله جاءَ للبشر والإنسانية يهديهم إلى السَّلام ؟

لقد قرأت عن الإسلام ونبيِّ الإسلام فوجدت أنَّه دينٌ جاء ليصبح دينَ العالم والإنسانية، فالتّعاليم التي جاء بها مُحَمَّدٌ، والتي حفل بها كتابه، ما زلنا نبحث عنها ونتعلَّق بذرات منها، وتُنال أعلى الجوائز مِنْ أجلها، وكان مُحَمَّدٌ بتعاليمه وكتابه أحقَّ بكل الجوائز، لأنَّه لم يُسبق إلى ذلك.

فما أعظمك يا سيِّد الخلق ! وما أرفع شأنك ! وما أشدَّ اتساع آثارك الحميدة الطيبة !

ويقول توماس كارليل، الإنكليزي المعروف، في كتابه "الأبطال":

لم يكن رسولُ الإسلام مِنْ محبِّي الشهرة، ولم يكن في فؤاد ذلك النَّبيِّ العظيم أي طموح دنيويّ، ولو كان يريد ذلك لركنَ إلى أقوال الذين ساوموه على ذلك، ولكنه أقسمَ أنَّهم لو وضعوا الشمس في يمينه، والقمرَ في يساره، على أن يترك هذا الأمر ما تركه، فأيُّ رجلٍ هذا ؟! وأيُّ نبيٍ كريم هذا الذي واجه أعداءَ رسالته مِن أقرب النَّاس إليه ؟! ومع ذلك استمرَّ يُقنع الجميع بالحجَّة التي أعطاها اللّه له.

ويقول: *لقد أصبحَ مِن أكبر العار علينا، وعلى أي فردٍ متمدِّن مِن أبناء هذا العصر، أنْ يُصغي إلى تلك الاتهامات التي وُجِّهت إلى الإسلام ونبيِّه مُحَمَّد، وواجبُنا أنْ نحاربَ ما يُشاع مِن مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة، فإنَّ الرسالة التي أدَّاها مُحَمَّد ما زالت السراج المنير.*

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

حقاً يا خير الخلق، أنت السِّراجُ المنير، وحملتَ إلينا سراجاً منيراً، فأصبحت المعادلةُ نوراً على نور:

﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ المائدة: ١٥-١٦.

ويقول الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسّو:

لم يعرف العالَم اليوم رجلاً استطاع أن يحوِّل القلوب والعقول مِن عبادة الأصنام إلى عبادة الإله الواحد إلا مُحَمَّداً، ولو لم يكن قد بدأ حياتَه صادقاً أميناً ما صدَّقه أحدٌ، حتَّى أقرب النَّاس إليه، وبخاصة بعد أن جاءته السَّماء بالرسالة لنشرها على بني قومه الصِّلاب العقول والأفئدة، لكن السَّماءَ اختارته بعناية كي يحمل الرسالة، فشبَّ متأمِّلاً محباً للطبيعة.

إيِ واللّهِ يا رسول الله، صدقَ كلُّ مَن مدحك، ولم يَصدُق، وربِّ الكعبة، مَن اتهمك، فأنت النَّبيُّ الحقُّ، والرَّسول الحقُّ، وجئتنا بالحقِّ.

ويقول فولتير، المؤرخ والأديب والفيلسوف الفرنسي المشهور:

السنن التي أتى بها مُحَمَّد، كانت كلُّها - ماعدا تعدد الزوجات - قاهرةً للنفس ومهذِّبة لها. فجمالُ تلك الشريعة وبساطةُ قواعدها الأصليَّة جذبَا إلى الدِّين المُحَمَّدي أمماً كثيرة.

ويقول: *نريد أنْ نمحوَ هذه الأخطاء التي ارتكز عليها الكارهون*

للإسلام والتّاريخ، فالذين يكذبون على التّاريخ لا يستحقون أدنى احترام، والذين يسبُّون مُحَمَّداً لا يستحقون الحياة.

يا لَلْروعة، يا لَلْعظمة ! اللهمَّ أَرِنا مجتمعَ الاعتراف بالفضل، وعندها فمُحَمَّد صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم له بين النَّاس أعظم الفضل.

ويقول نابليون بونابرت، أثناء حملته على مصر ١٧٩٨:

لو أن القادَةَ العسكريين يتمسَّكون بمبادئهم كما يتمسَّك رجال مصر بدينهم، لأصبح العالم مُلكي، لو كنت قائدهم، فأنا لم أكن أعرف أنَّ الإسلام قويٌّ بما يحمل علماؤه في صدورهم وعقولهم. يبدو أن القرآن الذي يحملونه قوةٌ عليا لا تُقهر ولا تهزم، وأنا لا أستطيع أن أقهر القوى العليا التي تحرِّك المسلمين.

ويقول أيضاً: *أحمَدُ اللّهَ أنني لم أكن موجوداً في العصر الذي كان فيه نبيُّ الإسلام يقود المعارك ضد أعدائه، وإلا كنت قد هُزمتُ بجدارة، وإذا كان هذا حال أتباعه فكيف كان حال مُحَمَّد ؟!*

ويقول أدولف هتلر:

لستُ نبياً ولا رسولاً، لست مسلماً، بل لست مُحَمَّداً ! بل أنا هتلر الذي ولد ليكره اليهود ويذلَّهم بعذابه إلى الأبد، إنَّ الذي استطاع أن يتعامل مع اليهود ويكسبهم ويشلَّ حركتهم في نفس الوقت هو رسول الإسلام مُحَمَّد، الذي فهم ما تدور به عقولهم وقلوبهم. إنهم لا يستحقون الحياة إلا أنَّ مُحَمَّداً كان واسع الصدر يملك منطقاً غير عادي، تأكّد

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

منه لتعاملِه معهم بالودِّ الذي لم يألفوه، وبالقوة التي شهدوها.

ويقول نفسُه أيضاً: *أعتقدُ أنه لو كان مُحَمَّد في عصرنا هذا لما فعل ما فعلت مع اليهود، لكنهم لا يستحقُّون إلا ما قمتُ به معهم.*

يا أيُّها النَّبيُّ العظيم صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:

طبتَ نبيَّاً ورسولاً، وطبتَ قائداً مُقنعاً، علَّمتَ مَن بعدك فنَّ الحياة، وكنت سيِّدَها وسيِّدهم؛ فمَن أراد السموَّ فليتعلَّم منك، ومن أراد المكافأة العليا فليرتشف مِنْ معينك، صلَّى اللّٰه عليك وعلى آلك وسلَّم، صلاةً ترفعنا عنده أعلى الدرجات، وتجعلنا في الدُّنيا ناجحين، وكذلك بعد الممات.

ويقول تولستوي، الأديب الروسي:

أنا واحدٌ مِنَ المبهورين بالنَّبيِّ مُحَمَّد، الذي اختاره اللّٰهُ لتكون آخر الرِّسالات على يديه وقلبه وعقله، وليكون هو أيضاً آخر الأنبياء، لا يوجد نبيٌّ حظي باحترام أعدائه سوى مُحَمَّد، مما جعل الكثرة مِنْ أعدائه يدخلون الإسلام، وممَّا لا ريب فيه أن النَّبيَّ مُحَمَّداً مِنْ أعظم الرجال المصلحين، الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدماتٍ جليلة، ويكفيه فخراً أنه هدى مئات الملايين إلى نور الحقِّ، وإلى السكينة والسَّلام، وفتح للإنسانية طريقاً للحياة الروحية العالية، وهو عملٌ لا يقوم به شخصٌ، إلا مَنْ أوتيَ قوة وإلهاماً وعوناً مِنَ السَّماء.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

سَيِّدي أبا الزَّهراء صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:

ولم لا يشهدُ لك النَّاس، أعني المنصفين ؟! وأنت الذي أعطيتَ للعقل مكانتَه اللائقة، وللقلب بُعْدَه الإيمانيَّ العميق، وللجسم حركتَه الصادقة، وللروح إشراقَها النيِّر المنوَّر، وكنت في كلِّ ذلك الأُنموذج الأرقى.

ويقول المهاتما غاندي، الزعيم الروحيُّ للهند:

لقد درستُ الإسلامَ، وعرفتُ مِن خلاله قيمةَ الإنسان وحقوقه، وإنَّ نبيَّ الإسلام هو الذي قادني إلى المناداة بتحرير الهند، إنَّ كلَّ مَنْ يتعرَّف على الإسلام تشفُّ روحُه، وتصبحُ عظيمة، وإني مِنْ أشدِّ المحبين والمعجبين بمُحَمَّد.

ونحن إذ نختم بهذا رسالتنا هذه، نردِّد على مسامع الكون:

يا هذه الدُّنيا اشهدي بأنَّا على طريق مُحَمَّد صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم، وأنَّا له محبُّون، وله مُوالون، وعليه مُثنون، ونقول لربِّنا جلَّت قدرتُه:

اللهمَّ ثبِّتنا على حبِّك، وحبِّ نبيِّك صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم، وحبِّ أهل بيته، يا ربَّ العالمين [1].

محمود

---

[1] من سعى للاستزادة فليَرَ: "قصة الحضارة": ول ديورانت. "في خطى محمَّد ﷺ": نصري سلهب. "محمَّد ﷺ في الدراسات الاستشراقية المنصفة": محمد شريف الشيباني. "قالوا في محمَّد ﷺ": خليل ياسين.

الرِّسالة التاسعة

سَيِّدي:
شهادةٌ منكَ فيكَ يا أجملَ وأكملَ إنسان

سَيِّدي يا رسولَ اللّٰه صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:

إنَّها قوةٌ ربَّانيةٌ أُعْطِيتَها، ومِنحةٌ إلهية أوتِيتَها، إذ وقفتَ تعلنُ أمام الملأ إلى يوم الدِّين حقيقتَكَ وهويَّتك وتِبيان أمرك؛ ولقد جاء هذا الإعلان على مستويين:

الأول: مستوى الآياتِ القرآنية، التي حضَّتْك على توضيح الأمر.

والثاني: مستوى الرَّحمة اللامباشر، عبر أحاديثك النبوية العظيمة.

ومَنِ الذي يَقدِر على هذا إلاَّك يا حبيب الحقِّ وسيِّدَ الخلق ؟!

فمن أنت يا رسول اللّٰه صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم ؟

وها نحن أولاءِ آذانٌ واعية، وقلوبنا تترامى بين يديك لتدركَ الذي أنت قائلُه.

ففي كتاب اللّٰه تتوالى الإعلاناتُ عنك، مِنْ خلالك أنت لتقولَ:

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ ص: ٦٥.

وتقولَ:

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ الأعراف: ١٥٨.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

فما أبهَى هذه الـ (أنا)، وما أروع (إنِّي) تلك، ما دامتا في جملة تُبيِّن حقيقةَ ما أنت فيه يا أيُّها الحبيب !

وأمَّا ما وردَ عنك في حديثك الأبهَى، فحسبي يا رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنْ أبدأ بذاك الحديث العظيم، وكلُّ أحاديثك عظيمةٌ، إذ قلتَ:

(ما مِن شيء في السماوات والأرضِ إلا يعلم أنِّي رسولُ اللهِ، إلا عاصيَ الجنِّ والإنس) [1].

إيِ واللهِ؛ الشجرُ يَعلم، وكذلك الحجرُ والمدَرُ والسماوات والأرَضون والأفلاك، إلا مَن خسرَ مِن العُصَاة الجاحدين المنكرين، وجحودُهم هذا فظيعٌ، لأنهم ينكرون حقاً سَطعَ كالشمس، وأمراً مؤكَّداً أكبرَ مِنَ الصَّدى في دواخلهم:

﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ النمل: ١٤.

سَيِّدي يا رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم:

وها أنت تتابع شهادتَك عن ذاتك، عبرَ وحيٍ غيرِ متلوٍّ، فتقول وقولُك حقٌ مِنْ حقٍ: **(أشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وأنِّي رسولُ اللهِ)** [2].

أجلْ. أنت حقٌ، أرسلكَ حقٌ؛ وأنت أمينٌ هيَّأك مهيمنٌ عزيز؛ وأنت صادقٌ اجتباك صَدوقٌ.

---

[1] أخرجه الدارمي: المقدمة، الحديث ١٨، ١٦/١.

[2] أخرجه البخاري: كتاب الشركة، الحديث ٢٣٥٢.

ولنُتابع ما شَهدْتَ به عن ذاتك، أيُّها العظيم السيِّدُ، يوم ناديتَ في أذُن الدُّنيا: (**أنا خيرُ أصحاب اليمين، أنا خيرُ السَّابقين، أنا أتقى وَلَدِ آدمَ وأكرمُهم على الله تعالى**) [٣].

وما الخيْريَّة التي انطوتْ عليها سريرتُك، وأشاعَها ظاهرُك، إلا المشكاة التي يصْدُر عنها كل خيرٍ فينا ومنَّا، فالأصلُ أنت والأُسُّ أنت، وأنت الأتقى والأكرمُ، ولا أحدَ مِنَ الخلق بقادرٍ على أنْ ينازعك الأفضلية المطلقة فيهم؛ أوَلستَ مَن قال: (**أنا أكرمُ الأوَّلين والآخرين، ولا فخر**) [٤] ؟

والكرامةُ ما وَجدتْ في سواك الذي رأتْه فيك، لأنك مُجسِّدها بأرقى صُورِها وأنقاها، ولأنَّك النِّتاج الخلاصةُ في سلسلة الكرام، فالكريمُ ابن الكريم إلى آدمَ عليه السلام هو أنت.

وأنت يا سَيِّدي يا رسولَ اللهِ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مَن دعا إلى الكرامةِ مبتغىً يطلبُه النَّاسُ لبعضِهِمْ، ويحرِصُ المؤمنون عليه فيما بينهم، ولدينِهم ومنهاجهم.

وها أنا ذا هنا أعيدُ الكرَّة ذاكراً وشاكراً، ومتبارِكاً ومعاهِداً، فأردِّد ما قلتَه يا رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن سيادتك ومقامِك ومكانتك، فتكرارُ الخيرِ عبادةٌ، ومعاودةُ الحديث في موضوعٍ عظيم يزدادُ مُعيدُه رفعةً وسُموَّاً.

---

[٣] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: الحديث ١٢٦٠٥.

[٤] أخرجه الترمذي: كتاب المناقب، الحديث ٣٦١٦.

فيَا أيُّها العظيم، أنتَ شهدتَ على ذاتك فقلتَ:

(أنا مُحَمَّدٌ، وأنا أحمَدُ، وأنا الماحي؛ يمحُو اللّٰهُ بيَ الكفرَ، وأنا الحاشرُ؛ الذي يُحشَر النَّاسُ على قدَمي، وأنا العاقبُ؛ والعاقبُ الذي ليسَ بعدَه نبيٌّ) [٥].

وناديتَ: **(أنا سَيِّدُ وَلَدِ آدمَ يومَ القيامة، وأنا أولُ مَنْ ينشقُّ عنهُ القبرُ، وأنا أولُ شافعٍ وأولُ مُشفَّع)** [٦].

وأعلنتَ: **(أنا سَيِّد وَلَدِ آدمَ يومَ القيامة، وبيدي لواءُ الحمْدِ ولا فخْرَ، وما مِنْ نبيٍ يومئذٍ، آدمَ فمَنْ سواه، إلا تحتَ لوائي)** [٧].

وأكَّدت: **(أنا أولُ مَنْ يُحرِّكُ حِلَقَ الجنَّة، فيُفتَح فأدخلُها، ويدخلها معي فقراءُ المؤمنين)** [٨].

وكذلك شهدتَ: **(أنا أولُ النَّاس خروجاً إذا بُعثوا، وأنا خطيبُهم إذا وفَدوا، وأنا مبشِّرهم إذا يَئِسُوا، لواءُ الحمْد بيدي، وأنا أكرمُ وَلَدِ آدمَ علَى ربِّي ولا فخرَ)** [٩].

وقلت: **(أنا إمام النَّبيّينَ وخطيبُهم وصاحبُ شفاعتهم)** [١٠].

---

[٥] متفق عليه بألفاظ متقاربة. البخاري: كتاب التفسير، الحديث ٤٦١٤. ومسلم: كتاب الفضائل، الحديث ٢٣٥٤.

[٦] أخرجه مسلم: كتاب الفضائل، الحديث ٢٢٧٨.

[٧] أخرجه الترمذي: كتاب المناقب، الحديث ٣٦١٥.

[٨] أخرجه الترمذي: كتاب المناقب، الحديث ٣٦١٦.

[٩] أخرجه الترمذي: كتاب المناقب، الحديث ٣٦١٠.

[١٠] أخرجه الترمذي: كتاب المناقب، الحديث ٣٦١٣.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

أيُّها المبعوثُ رحمةً صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:

لقد قُلتَ عن خزيمة ﷺ: **(مَنْ شهدَ له خزيمةُ فحَسْبُه)** [11]، لأنَّه شهدَ لك بالصِّدق، ولم يكن رأى الذي شهدَ به، اعتماداً على تصديقه لك بالرسالة، وهي أكبر مِنْ كلِّ عمل أو فعل أو قول.

وها أنا ذا أقتبس مِنْ ذا النور فأقول:

تكفيك شهادتُك بذاتك لذاتك عن ذاتك، فوَربِّ السَّماء والأرض إنك لحقٌّ مثلما أنَّهم ينطقون، وذاتُك أطهرُ ذات في عالم العباد.

ولعلِّي يا حبيبَ الحقِّ، أقفُ على أعتاب الأسياد طالباً منهم شهادةَ اعتراف بأني لكم خَدوم.

فهل تقبلونني ؟!

وهل تُصدِّقون على إيماني وحبِّي ؟!

وهل تَجبرون خاطري ؟

فإنْ قَبلتُمْ فيا عِزِّي ويا طَربي وإنْ أبيتُمْ فمَن أرجُوه غيرَكم

محمود

[11] أخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب البيوع، الحديث ٢١٣٠.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

الرِّسالة العاشرة

سَيِّدي رسولَ الله:
أنتَ الرَّحمةُ المهدَاة

إنَّها معادلةُ الإنسان الخليفة، والسَّعةُ التي تَعني المسؤوليَّةَ الشاملة العامَّة، فإذا كنتَ يا سَيِّدي يا رسولَ الله رحمةً مرسلةً، كما قال ربِّي عزَّ شأنه:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَـٰلَمِينَ﴾ الأنبياء: ١٠٧.

وإذا كانت الرحمةُ تتَّسعُ لكلِّ شيء، كما قال أيضاً ربِّي جلَّ جلاله:

﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ الأعراف: ١٥٦.

فأنت إذاً وسعت مَنْ دعوتَهم كلَّهم، وكنتَ لهم مَشعَّ عطاءٍ ووفاءٍ وضياءٍ وصفاءٍ، وكلُّ ذلك مِن مفردات الرَّحمة التي كُنتَها وجسَّدتها.

سَيِّدي أبا الزَّهراء صلَّى الله عليه وآله وسلَّم:

أأذكرُ آياتٍ قرآنيةٍ تحدَّثتْ عن رحمتك ؟

أم أتناولُ بالحديث أقوالاً صدرتْ عنك، عبَّرتْ عن رحمةٍ استقرَّتْ فيك سجيَّةً وطويَّة ؟ أم أسطِّرُ أفعالاً كانت عنواناً، هو طُغْراء في صفحة تاريخ رُحماءِ البشر ؟

وإذا رحمتَ فأنتَ أمٌ أو أبٌ هَذَان في الدُّنيا همَا الرُّحماءُ

فاللّٰهُ عزَّ وجلَّ قال عنك واصفاً:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ الأنبياء: ١٠٧.

وقال عزَّ وجلَّ:

﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ التوبة: ١٢٨.

وأنتَ يا أيُّها الرحيمُ بنا قلتَ عن نفسك: (**إنَّما أنا رحمةٌ مُهْداة**) [١].

وقلتَ داعياً إلى الرحمة: (**الرَّاحمون يَرحمهمُ الرحمن. ارحمُوا مَن في الأرض يَرحمْكم مَن في السَّماء**) [٢].

وكذلك ردَّدتَ أمام كلِّ الدُّنيا: (**إنِّي لم أُبعثْ لعَّاناً، وإنَّما بُعثتُ رحمةً**) [٣].

وما أعظمَها مِن كلمةٍ يوم عرَّفتَ بنفسك فقلت: (**أنا نبيُّ الرَّحمةِ، ونبيُّ التَّوبة**) [٤] ؟!

وأمَّا ما أنتجته جوارحك الشَّريفة مِن أفعال، فوَاللّٰه إنَّ لَبوسها الرَّحمةُ، وباطنَها الهدايةُ، ومبعثَها الأمانةُ.

---

[١] أخرجه الدارمي: المقدمة. الحديث ١٥.

[٢] أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، الحديث ٤٩٤١. والترمذي: كتاب البر والصلة، الحديث ١٩٢٤.

[٣] أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة، الحديث ٢٥٩٩.

[٤] أخرجه الترمذي في "الشمائل المحمدية": الحديث ٦٣٠.

وهيهات أن تفيَ هذه الأسطرُ، بل الكتابات، بل كلُّ المجلدات في الدُّنيا، حقَّ رحمتك، سلوكاً انبثقَ عنك. ولكنِّي يا أيُّها المختار، سأنقلُ مِن مَعين سيرتك الطاهرةِ قطراتِ ندىً تكفي مَن عَقَل، وتُرشد مَنْ وعَى، وتجعلُ مَن يودُّ التَّبصُّر في أمره على طريقِ النور، بعون الله.

فسَيذكر التَّاريخُ لكم، يا سَيِّدي رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ما كنتم تفعلون إذ قلتم عن أنفسِكم:

(إنِّي لأدخلُ في الصَّلاة أريدُ إطالتَها، فأسمعُ بكاءَ الصَّبي فأتجوَّزُ لِمَا أعلمُ مِن شدَّة وَجْدِ أمِّهِ عليه) [٥].

فمَن الذي في ذي الرَّحمةِ يجاريكم ؟!

تضحِّي بوَجْد الخشوع مِن أجل وَجْد الحنان، وتَدَعُ لذَّةَ المناجاة، مِن أجل لذةِ رضاعِ طفلٍ مِنْ أمِّه !

سأحكي، يا أيُّها الرحيمُ الرؤوف، رعايتَك الحانيةَ لسِبطيك سَيِّدي شبابِ أهلِ الجنّة، وقد عزَّ نظيرُها ومَثيلُها، فلقد نزلتَ مرَّةً عن المنبر، إذ راعَك بكاءُ الحسين عليه السلام، فحملتَه ورفعتَه بين يديك، وصعِدت به المنبرَ ثانية، وتابعتَ خطبتَك الشريفةَ العظيمة، وصرَّحتَ لأمِّهما البتولِ الزَّهراءِ، عليهم السَّلامُ جميعاً أهل البيت ورحمةُ الله وبركاته: **(أمَا علمتِ يا فاطمةُ أنَّ بكاءَهما يُؤذيني ؟)** [٦].

مَن للرَّحمة بعدَ الله إلاك ؟

---

[٥] متفق عليه. البخاري: كتاب الجماعة، الحديث ٦٧٧. ومسلم: كتاب الصلاة، الحديث ٤٧٠.

[٦] انظر الترمذي: ٣٠٦/٢ . وذخائر العقبى للمحب الطبري: ص ١٤٣.

ها ذا هو الأقرعُ بن حابس يدخلُ عليك، ليراكَ تُقبِّل سبطيْكَ العظيمين، فيقول مستغرباً: يا رسول الله. إنْ لي عشَرةً مِن الولد ما قبَّلتُ واحداً منهم. فأجبْتَه:

(أوَ أمْلكُ لكَ إنْ كان الله قد نزعَ مِن قلبك الرحمةَ ! مَن لا يَرحم لا يُرحم) [٧].

أمَّا ولدُك، يا حبيبي، إبراهيمُ الذي توفَّاه اللّهُ عزَّ وجلَّ صغيراً ورضيعاً، فسلَّمتَ وقُلتَ:

(إنَّ العينَ لتدمَع، وإنَّ القلبَ لَيَحزن، وإنَّا علَى فراقك يا إبراهيم لمحزونون، ولا نقول إلا ما يُرضي ربَّنا، إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون) [٨].

وأنبأتَ مَن حولك ومَن بعدك بمصير سَيِّدنا إبراهيم، هذا الرضيع، في الجنَّة، فقلتَ: **(إبراهيمُ ابني، وإنَّه ماتَ في الثَّدي، وإنَّ له لظِئْرين تُكملان رضاعَه في الجنة)** [٩].

ماذا أقول معلِّقاً ؟ وماذا أعلِّق قائلاً ؟!

حسبي يا ضياءَ العين أنْ أحيلَ دعاةَ الرَّحمةِ عليك، وطلابَ الرأفةِ على سيرتك، فسيجدون ما لا عينٌ رأتْ قبلَك ولا بعدك.

وهيَّا معي أيُّها المحبُّون لنرى هذا المشهد الرَحْمَويَ الكبير، إذ

---

[٧] أخرجه مسلم: كتاب الفضائل، الحديث ٢٣١٧.

[٨] متفق عليه. البخاري: كتاب الجنائز، الحديث ١٢٤١. ومسلم: كتاب الفضائل، الحديث ٢٣١٥.

[٩] أخرجه مسلم: كتاب الفضائل، الحديث ٢٣١٦.

يُستشهَد عثمانُ بن مظعون الصحابيُ الجليل ﷺ، فيقبِّله النَّبيُّ الأعظم صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم، ويرى الصحابةُ الكرام دموعَ سَيِّدِ البشر الطاهرةَ تسيل على خدِّ عثمان، وهي ترسم الكلمات التي خرجت مِن فم الحبيب مُحَمَّد صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم: **(طوبَى لك... طوبى لك)** [١٠].

وفعلاً طوبى لك يا عثمان، ويا ليتني كنتُ معك فأفوزَ فوزاً عظيماً.

أيُّها الشفيع الكبير صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:

والرحمةُ فيك ومنك عامَّةٌ شاملةٌ، لم تقفْ عند حدٍّ، أوَلستَ قد سامحتَ مَنْ آذاك، وعفوتَ عمَّن أساءَ إليك ؟ وقلتَ: **(اللهمَّ اغفِر لقومي فإنَّهم لا يعلمون)** [١١].

أوَلستَ مَن قلتَ: **(إنَّ في كلِّ كبدٍ حرَّى أجراً)** [١٢] ؟

أوَلستَ مَن قلتَ: **(دخَلت امرأةٌ النارَ في هرَّةٍ حبَستْها فلا هي أطعمتْها، ولا هيَ تركتْها تأكلُ مِنْ خِشاش الأرض حتَّى ماتتْ)** [١٣] ؟

يا أيُّها المختار صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:

دعوتُك رحمةٌ، ونظرتك رحمةٌ، ومماتُك رحمةٌ، فَوَاصِلْ ضعيفاً بنظرة، وامنحْ خُويدماً على الأعتاب لفتةً.

---

[١٠] الإصابة في تمييز الصحابة: ٤/٤٦٢.

[١١] متفق عليه. البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، الحديث ٣٢٩٠. ومسلم: كتاب الجهاد، الحديث ١٧٩٢.

[١٢] أخرجه ابن ماجه: كتاب الأدب، الحديث ٣٦٨٦.

[١٣] متفق عليه. البخاري: كتاب بدء الخلق، الحديث ٣١٤٠. ومسلم: كتاب التوبة، الحديث ٢٧٥٦.

سَيِّدي !

يا سَيِّدَ الرُّحماء في الدُّنيا والآخرة صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم:

إنَّما هما كلمتان أرفعُهما إليك في مقامي هذا، وتتقاصران عن أن تمثُلا أمامك، ولكنَّ الذي يشكِّلهما عطفُك ورحمتُك وفضلك:

هل تقبلونني ؟

وإنِّي على يقين أنك لن تقول لمن كَان مثلي إلاَّ نعم؛ فأنتَ كما قلتَ، سَيِّدي: (**أنا أوْلى بكلِّ مؤمنٍ مِنْ نفسه**) [١٤].

محمود

[١٤] أخرجه أبو داود: كتاب الفرائض، الحديث ٢٩٠٠. وأحمد: الحديث ٩٩٤١، ٣٦٥/٩.

الرِّسالة الحادية عشرة

أدَّبني ربِّي فأحسنَ تأديبي

سيِّدَ الوجود صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:

إذا كان الأدبُ يعني الظاهرَ الجميل، واللَّبوس الرائعَ للمضمون، وحُسْنَ التَّواصل مع الآخر على اختلافٍ كثيرٍ فيه، ومع الأشياءِ على تنوُّعٍ عديد فيها؛ فأنت - والذي بعثَك - آدَبُ مَنْ عليها، ممِّن كان، وممَّن سيكونُ إلى يوم الدِّين، وكيف لا ؟ والذي تولَّى تأديبَك ربُّك:

﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾

الضحى: ١-٣.

وقد قلتَ أنتَ يا رسولَ اللّٰهِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم: (**أدَّبني ربِّي فأحْسَنَ تأديبي**) [1]، ومَنْ أدَّبَهَ ربُّهُ، إذاً، فهو الأوَّلُ في الأدبِ، والأعظمُ في السُّلوك، والأجدرُ بأن يكونَ خيرَ النَّاسِ إلى يوم الدِّين.

أيُّها الذي أدَّبَهُ ربُّهُ:

لستُ ممَّنْ يفي بالحقِّ، وهيهات، وأنَّى لمثلي أنْ يستوعبَ ضياءَ شمسٍ مشرقةٍ، وهو مصباحٌ صغيرٌ يُوقَدُ مِنْ بعضِ شعاعِكَ؛ ولكنَّني سأتغنَّى بذكرياتِ فِعالٍ صدرتْ عنْكَ، رسمَتْ لوحةً في جدارِ الزمنِ الخيِّر،

[1] كنز العمال: الحديث ٣١٨٩٥، ٤٠٦/١١.

فكانتِ الأجملَ ممَّا فيه؛ وهذه الفعالُ منها ما كانَ تُجاهَ الخالقِ، ومنها ما كانَ حِيالَ الأهلِ، ومنها ما كانَ مع الأصحابِ، وآخرُها التي أريدُ ذكرَها هنا ما كانَ مع الدُّنيا.

فأمَّا التي مع الخالقِ جلَّ شأنُهُ:

فما أعظمَ أدبَكَ يا رحمةَ الدُّنيا، حين تقولُ عن الصَّلاة: (**أَرِحْنا بها يا بلال**) [٢]، والصَّلاةُ صِلةٌ، وأرقاها راحة.

وما ألطفَ فعالَكَ يومَ كنتَ تصلِّي، فتسكبُ دموعَكَ الطَّاهرةَ حُبّاً لربِّكَ، حتَّى إنَّهُ ليُسمعُ لصدرِكَ أزيزٌ كأزيزِ المرجلِ مِنَ البكاء [٣].

ربَّ دَمعٍ يَنسابُ إثرَ سرورٍ كاللآلي على الخدودِ تَهَامَى

وكلُّنا يحكي تلكَ القصَّةَ التي جربتْ معكَ إذ وقفتَ يوماً، وما ذاكَ الوقوفُ ببيتيمٍ، فصلَّيتَ وأكثرتَ القيامَ وأطلتَهُ، حتَّى تشقَّقتْ قدماكَ، فقالتْ لكَ زوجُكَ السَيِّدةُ عائشة رضي اللّه عنها: لِمَ تفعلُ هذا يا رسولَ اللّهِ ؟! خفِّفْ عليكَ. لقدْ غُفرَ لكَ ما تَقدَّمَ مِنْ ذنبكَ وما تأخَّر ؟ حينها أجبتَ: (**يا عائشةُ، أفلا أكونُ عبداً شكوراً ؟**) [٤].

ما أعظمَكَ ! ما ألطفَكَ !

صلى اللّهُ عليكَ يا عظيمُ، يا أديبُ، عددَ ما صدرَ عنكَ مِنْ لطفٍ

---

[٢] أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، الحديث ٤٩٨٥. وأحمد: الحديث ٢٢٩٨٢، ٥١٩/١٦.

[٣] أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، الحديث ٩٠٤. والنسائي: كتاب السهو، الحديث ١٢١٣.

[٤] أخرجه البخاري: كتاب التفسير، الحديث ٤٥٥٧.

وأدبٍ وخيرٍ، وأكرمُ العدِّ ألاَّ يكونَ له حدٌ.

فإنَّ فضلَ رسولِ اللّهِ ليسَ لهُ حدٌ فيُعربَ عنهُ ناطقٌ بفمِ

يا أبا الطَّاهرِ والطيِّبِ وعبدِ اللّهِ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم:

أمَّا أدبُكَ مع الأهل:

فتلكَ قصةُ الرُّقي والأناقةِ والحضارةِ، وتلكَ قمةُ القصِّةِ، رويتْ عنْكَ ونُقلتْ عن سيرتَكَ، ونبتدئُ مِنْ أنسٍ خادمك ﷺ، إذ قال: (**كان رسول اللّه صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم أشدَّ الناس لطفاً، وما رأيت أحداً أرحم بالعيال مِنْ رسول اللّه صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم**) [٥].

وهو نفسه القائل: (**خدمتُ رسولَ اللّهِ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم عشرَ سنين، فما قالَ لي لشيءٍ فعلتُهُ: لمَ فعلتَهُ ؟ ولا لشيءٍ لمْ أفعلْهُ: لِمَ لمْ تفعلْهُ ؟ وما قالَ لي أُفٍ قطّ**) [٦].

وأمَّا زوجُكَ، وأعرفُ النَّاسِ بالرَّجلِ أهلُه، فتقولُ: (**كان رسولُ اللّهِ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم ألينَ النَّاسِ، بسّاماً ضحَّاكاً**) [٧].

وخديجة، وما أدراكَ ما خديجة أمُّ المؤمنين ! تشهدُ وتقرُّ، وهي التي تغنَّتَ بكَ زوجاً عظيماً، وأباً حانياً، ونبياً مرسَلاً، ولمْ يفارقْهَا التَّغنِّي هذا؛ غمرْتَها بلطفٍ منكَ كبيرٍ، وعطفٍ منكَ عظيمٍ، فقالتْ:

و لو أنَّ لي في كلِّ يومٍ و ليلةٍ بساطَ سليمانٍ ومُلكَ الأكاسرة

---

[٥] أخرجه مسلم: كتاب الفضائل، الحديث ٢٣١٦.

[٦] أخرجه أحمد: الحديث ١٣٩٦٨، ٧٢/١١.

[٧] أخرجه ابن سعد: ٣٦٥/١.

لما عدلتْ عندي جناحَ بعوضةٍ إذا لم تكنْ عيني لوجهِكَ ناظرة

وأمَّا الأدبُ العظيمُ مع الصَّحب:

فحدِّثْ عنه ولا حرجَ، إذ كانَ مع الصَّغيرِ والكبير، والمرأةِ والرَّجل، والفقيرِ والغني، والقويِ والضعيف.

يقول الشَّاب الصَّغير جرير بنُ عبدِ اللّٰهِ البَجَليُّ ﷺ: **(ما حجبني رسولُ اللّٰهِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم منذُ أسلمتُ، ولا رآني إلا تبسَّمَ)** [٨].

ويروي عنه عبدُ اللّٰهِ بنُ الحارثِ ﷺ فيقولُ: **(ما رأيتُ أحداً أكثرَ تبسُّماً مِنْ رسولِ اللّٰهِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم)** [٩].

ويحكي لنا التَّاريخُ قصةً كانَ بطلُها مُحَمَّداً صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم، إذ خرجَ مع ثلَّةٍ مِنْ أصحابِهِ رضي اللّٰهُ عنهم في سفرٍ، فعزموا على إعدادِ شاةٍ فقال أحدُهمْ: عليَّ ذبحُها. وقالَ الثَّاني: عليَّ سلخُها. وقالَ الثَّالثُ: عليَّ طبخُها. فقالَ المصطفى صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم: **(وعليَّ جمعُ الحطبِ)**. فقالوا: يا رسولَ اللّٰهِ نكفيكَ العملَ. فقال: **(علمتُ أنّكم تكفونني، ولكنَّني أكرَهُ أنْ أتميَّزَ، وإنَّ اللّٰهَ سبحانَهُ وتعالى يكرهُ مِنْ عبدِهِ أن يراه مميَّزاً بين أصحابه)** [١٠].

---

[٨] متفق عليه. البخاري: كتاب الجهاد، الحديث ٢٨٧١. ومسلم: كتاب الفضائل، الحديث ٢٤٧٥.

[٩] أخرجه الترمذي: كتاب المناقب، الحديث ٣٦٤١.

[١٠] أورده السخاوي في "المقاصد الحسنة"، حرف الهمزة، في كلامه على قولهم: (إن اللّٰه يكره العبد المتميز على أخيه)، نقلاً عن جزء "تمثال النعل الشريف" لأبي اليمن بن عساكر. ولم يعلق عليه السخاوي بشيء.

فهلْ رأيتُمْ يا بني قومي وأدباءَهُ لذلك مثيلاً أو شبيهاً أو نظيراً ؟!

والجوابُ: هيهاتَ.

مُحَمَّدٌ بشرٌ وليسَ كالبشر بلْ هو ياقوتةٌ والنَّاسُ كالحجرِ

وما أظنُّ أنَّ شخصيةً في التَّاريخِ يمكنُ أنْ تتسمَ بالأدبِ قدراً، كما اتسمَ به سَيِّدُ الخلقِ مُحَمَّدٌ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم.

فيا سَيِّدي يا رسولَ اللّٰهِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:

أجلْ، أدَّبَكَ ربُّكَ وعلَّمَكَ وربَّاكَ، فكنتَ الأفضلَ في كلِّها.

أدبه مع الدُّنيا:

واذكري يا دنيا بعدَها أدبَهُ معكِ، وأسلوبَهُ الأنسبَ مع طبيعتِكِ، فأنتِ مَنْ تَسْعَيْنَ إلى مَنْ عرفَ قدْرَكِ فأعطاك إيَّاه.

لمْ يأخذْ منكِ؛ بلْ أنتِ التي أخذتِ منه، لم تُعطِهِ؛ وإنَّما هو الذي منَحَكِ، إذاً حدثي أبناءَكِ والآخرين عنه، واروي قصَتَكِ مع مَنْ لم يدخلْ رحابَكِ أفضلُ منهُ.

أخبريهم أنَّهُ: (**ما شبعَ رسولُ اللّٰهِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم مِنْ خبزٍ شعيرٍ يومين متتاليين**) [١١].

وحدِّثيهم أنّه صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم: (**كانَ يبيت هو وأهلُهُ الليالِيَ المتتابعةَ، طاوياً، لا يجدونَ عشاءً**) [١٢].

---

[١١] أخرجه الترمذي: كتاب الزهد، الحديث ٢٣٥٧.

[١٢] أخرجه الترمذي: كتاب الزهد، الحديث ٢٣٦٠. وابن ماجه: كتاب الأطعمة، الحديث ٣٣٤٧.

واذكري ما قالتْهُ زوجتُهُ السَيِّدةُ عائشة: **(لقدْ ماتَ رسولُ اللّهِ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم وما في بيتي شيءٌ يأكلُهُ ذو كبدٍ، إلا شطرَ صاعٍ شعيرٍ في رفٍّ لي)** [١٣].

وردِّدي يا دنيا كلمةَ الكفايةِ والاكتفاءِ باللّهِ، التي جعلَها المصطفى صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم وِردَهُ الدَّائمَ، يناجي به ربَّهُ، ويعلنُ مِنْ خلالِهِ موقِفَهُ العظيمُ مِنْ الرِّزقِ الماديِّ: **(اللهمَّ اجعلْ رزقَ آل مُحَمَّد قوتاً)** [١٤].

سَيِّدَ الوجودِ، يا عظيمَ الدُّنيا وشفيعَ النَّاسِ في الآخرة صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم:

أعطيتَ كلَّ شيءٍ حقَّهُ مضموناً وأسلوباً، حقيقةً وصورةً، فما أعظمَكَ ! وما أكرمَكَ ! وما أجملَكَ ! وما أكملَكَ !

أبا المؤمنين؛ إذ علَّمتَهم وأعطيتَهم ومنحتَهم وأنفقتَ عليهم وتوليتَ شؤونَهم:

ختاماً:

اسمحْ لي أنْ أسوقَ بين يديكَ تلك القصَّةَ التي تحكي أحداثُها أنَّ وفداً جاءَكَ وكانَ يقلبُ اللام ميماً، فينطق (أل) التّعريف (أم)، فسألَكَ: هل مِنِ امْبِرِ امصيامُ في امْسفرِ ؟ أيْ هلْ مِنَ البرِ الصيامُ في السَّفرِ. فقلت لهم: **(ليسَ مِن امبرِ امصيام في امسفر)** [١٥].

---

[١٣] متفق عليه. البخاري: كتاب الرقاق، الحديث ٦٠٨٦. ومسلم: كتاب الزكاة، الحديث ١٠٥٥.

[١٤] متفق عليه. البخاري: كتاب الرقاق، الحديث ٦٠٩٥. ومسلم: كتاب الزهد، الحديث ٢٩٧٣.

[١٥] أخرجه أحمد: الحديث ٢٣٥٦٩، ٧٥/١٧. وهذه لغة حِمْيَر من قبائل العرب.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

وسألَكَ الإمامُ عليٌّ ﷺ واستفسرَ، ولسانُ حالِ الاستبيانِ والاستفسارِ: مِنْ أين ؟ ومتى ؟ ومَن ؟ فأجبتَ واثقاً وقلت موقناً: (**أدَّبني ربِّي فأحسنَ تأديبي**) [١٦].

فيا رسولَ اللّٰهِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:

هلْ قبسٌ مِنْ أدبكَ يؤدِّبُنا ؟

فوربِّ الكعبةِ إنَّا بكَ مؤدَّبون، وبغيرِكَ لا.

الصَّلاةُ والسَّلامُ عليكَ يومَ وُلدتَ، ثُمَّ بُعثتَ، ويومَ هاجرتَ، ويومَ انتقلتَ، وفي كلِّها يومَ نُوديت:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَـٰلَمِينَ﴾ الأنبياء: ١٠٧.

محمود

[١٦] انظر الهامش رقم ١.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

الرِّسالة الثانية عشرة

سيِّدي:
والشِّعرُ أجملُه ما كنتَ مضمونَه

سَيِّدي أبا الزَّهراءِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:

وعبيرٌ منكَ يحيلُ الدُّنيا ذاتَ أرَجٍ فوَّاحٍ عَطِرٍ، فإنْ سرَى في النَّفسِ طيَّبَها !

وإنْ داخلَ الحياةَ أسعدَها !

وإنْ امتدَّ في العقولِ قوَّاها !

وإنْ خالطَ الرُّوحَ لطَّفَها !

وإنْ حطَّ على الشِّعرِ أحياه؛ وهنا الموقفُ، فما أرقَّ وأعذبَ وأصدقَ شعراً أنتَ فيه المرادُ والحبيبُ والمطلوبُ.

ما إنْ مدحتُ محمَّداً بمقالتي ... لكنْ مدحتُ مقالتي بمُحَمَّد [1]

سأتولى عرضَ بعضِ ما قيلَ فيكَ شعراً، لأنثرَهُ بين يديكَ، بل بين قدميكَ يا سَيِّدَ السَّاداتِ، فعسَاه يكونُ إذناً لي بالدُّخولِ إلى رحابِكَ ولثمِ أعتابكَ.

فأنا يا أيُّها المرسَلُ الأكرمُ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم مُستشفعٌ بكَ إليكَ، وبأهلِ بيتِكَ وهم بعضُكَ إليكَ:

---

[1] من شعر حسان بن ثابت ﷺ.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

يا ربِّ عبدٌ قد أسَا بفعاله وبذلِّه قد مدَّ كفَّ سؤالهِ
وأتى حبيبَك طامعاً بنواله عبدٌ توسَّل بالنَّبيِّ وآله
فبحقِّهم يا ربّ لا تخزيه [٢]

وأنا أعلمُ أنِّي أقلُّ مِنْ أنْ أطلبَ، ولكنَّ الكرمَ العظيمَ منكم جذبني إليكم:

سَيِّدي يا أبا البتولِ سؤالٌ من فقيرٍ جوابُهُ الإعطاءُ
هجروني ولستُ أُنكرُ أنّي لمْ أزلْ مذنباً و كلِّي خطاءُ
غيرَ أنّي التجأتُ قِدْماً إليهم وعزيزٌ على الكرامِ التجاءُ
ورجوتُ النوالَ منهم وظنِّي بلْ يقيني أن لا يخيبَ الرَّجاءُ [٣]

وحسَّانُ شاعرُكم غدا بالحُبِّ لكم حسَّاناً، فهل أبدأُ بنقلِ بعضِ ما قالَهُ عن جنابِكمْ، وجميلٌ جداً هذا الذي غنَّاه:

يا ركنَ مُعتَمِدٍ وعصمةَ لائذٍ وملاذَ مُمتَنعٍ و جارَ مجاوِرِ
يا مَنْ تخيّرَهُ الإلـهُ لخَـلقِهِ وحباهُ بالخُلقِ الزَّكيِّ الطَّاهرِ
أنتَ النَّبيُّ وخيرُ عُصبةِ آدم يا مَنْ يجودُ كفيضِ بحرٍ زاخرِ
ميكالُ مَعْكَ وجبرئيلُ كلاهُما مددٌ لنَصرِكَ مِنْ عزيزٍ قادرِ

فما أشعرَ حسَّان، إذ بالشِّعر عناكم!
وما أصدقَ حسَّان، إذ بالحبِّ غنَّاكم:

---

[٢] من شعر الشيخ التقي النقي عيسى البيانوني الحلبي رحمه الله.
[٣] من شعر الشاعر المحبِّ الواله الأديب يوسف النبهاني رحمه الله.

وأحسنَ منكَ لمْ ترَ قطُّ عينٌ وأجملَ منكَ لمْ تلدِ النِّساءُ
خُلقتَ مبرَّءاً مِنْ كلِّ عيبٍ كأنَّكَ قد خُلقتَ كما تشاءُ

وابنُ رواحة، وما أدراكَ ما ابنُ رواحة ! لقدْ صدقَ وربِّ الكعبةِ أجملَ الصِّدقِ يومَ قالَ فيكم سَيِّدي:

إنّي تفرَّستُ فيكَ الخيرَ أعرفُهُ واللّهُ يعلمُ أنْ ما خانني البصرُ
أنتَ النَّبيُّ ومنْ يُحرمْ شفاعتَهُ يومَ الحسابِ فقد أزرى به القدرُ
فثبَّتَ اللّهُ ما آتاكَ مِنْ حَسَنٍ تثبيتَ موسى ونصراً كالذي نُصروا

أيُّها الحبيبُ العظيمُ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم:

ها أنا ذا أقدِّمُ بين النَّقلِ والنقل توسُّلاً أرفعُهُ إلى اللّهِ بك، لأكونَ في عِدادِ مَنْ قَبلتَهمْ لديكَ:

على أبوابِكمْ عبدٌ ذليلُ كثيرُ الشَّوقِ ناصرُهُ قليلُ
يمدُّ إليكمُ كفَّ افتقارٍ ودمعُ العينِ منهملٌ يسيلُ
أكونُ نزيلَكمْ ويُضامُ قلبي وحاشا أنْ يُضامَ لكم نزيلُ [٤]

واللّهِ يا حبيبي لقدْ دمعتْ عيناي إذ قرأتُ ما سطّرتْهُ حشاشةُ صفيَّة، العمَّةِ الرَّضيةِ، رضيَ اللّهُ عنها وأرضاها:

ألا يا رسولَ اللّهِ كنتَ رجاءَنا وكنتَ بنا بَرّاً و لمْ تكُ جافيا
وكنتَ رحيماً هادياً ومعلماً ليبكِ عليكَ اليومَ مَنْ كانَ باكيا
لعمريَ ما أبكي النَّبيَّ لموتِهِ ولكنْ لهَرجٍ كانَ بعدَكَ آتيا

[٤] من شعر قديم، كنت أسمعه من أفواه المنشدين، ولم أعرف قائله.

كأنّ على قلبي لفَقْدِ مُحَمَّدٍ ومِنْ حُبِّهِ مِنْ بعد ذاك المكاويا
فدىً لرسولِ اللّهِ أمّي وخالتي وعمّي وخالي ثمَ نفسي ومَاليا
فلو أنَّ ربَّ العرشِ أبقاك بيننا سعدنا ولكنْ أمرُهُ كانَ ماضيا
عليكَ مِنَ اللّهِ السَّلامُ تحيّةً وأُدخلتَ جنَّاتٍ مِنَ العدْنِ راضيا

وهاجَ بيَ الشوقُ إلى رؤياكَ، فخِلتُني أتطلّعُ إلى ساعةِ لقاكَ، وكلُّ ذرّةٍ فيَّ تشتهي وترتجي، وذاكَ حينَ رتّلتُ أبياتِ السَيِّدةِ خديجة رضي اللّه عنها في حقِّكَ:

ولو أنَّ لي في كلِّ يومٍ وليلةٍ بساطَ سليمان ومُلكَ الأكاسرة
لما عدلتْ عندي جناحَ بعوضةٍ إذا لمْ تكنْ عيني لوجهِكَ ناظرة

يا أيُّها الغالي على كلِّ عينٍ وقلبٍ في عالمِ الإنسانِ الواعي: لو جعلتُ كلَّ نبضةٍ مِنْ قلبي قصيدةَ ثناءٍ ما وفَّيتُ بعضَ قدرِكَ وحقِّكَ:

يا مَنْ يُثيرُ حماستي بجمالِهِ
عذراً إذا شاهدتَ ضَعفَ لساني
اللّهُ يعلمُ كمْ حرَّكتَ في خَلَدي
مِنْ ذكرياتٍ وكمْ هيّجتَ أشجاني
كمْ في دروبِكَ مِنْ دربٍ أصختُ له
كأنَّهُ بحديثِ الأمسِ ناجاني
لبَّيكَ ملءَ فمي لبَّيكَ ملءَ دمي
لبَّيكَ لبَّيكَ مِنْ قلبي ووجداني

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

نعم لبَّيكَ دون سواكَ مِنَ الخَلقِ، فأنتَ لي قائدٌ، وعليَّ حانٍ، وبي رؤوفٌ، وفيَّ قائمٌ:

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾ الحجرات: ٧.

يا ربِّ هبني يا رحيمُ مَراحما فقدْ اقترفتُ جرائراً وجرائما
كمْ ذا ظُلمتُ وكمْ أتيتُ مَظالما بحياتِهِ ارحمْ ظالماً مظلوما
صلُّوا عليه وسلّموا تسليما [٥]

صلّى اللّهُ عليكَ وعلى آلِكَ.

لقدْ جاءَكَ، يا أيُّها الرَّسولُ العظيمُ واحدٌ مِنْ صحبِكَ الأكارمِ فقالَ: واذُنوباه.. واذُنوباه. يشتكي كثرتَها. فقلتَ لهُ: **(قلْ: اللهمَّ مغفرتُكَ أوسعُ مِنْ ذنوبي، ورحمتُكَ أرجى عندي مِنْ عملي)**. فقالها، ثُمَّ قلتَ له: **(عُدْ)** فعاد. ثُمَّ قلتَ له في الثالثة: **(قُم، فقد غفر اللّه لك)** [٦].

وها أنا ذا أقول:

يا ربّ إنّي في جوارِكَ لائذُ وبحصنِ عفوِكَ مِنْ عذابِكَ عائذ
ولديكَ جاهُ المصطفى هو نافذُ فلَهُ التجأتُ فلنْ أُرى محروما
صلُّوا عليه وسلّموا تسليما [٧]

---

[٥] من شعر العلاّمة يوسف النبهاني رحمه اللّه.

[٦] أخرجه الحاكم: المستدرك، ١/٥٤٣.

[٧] من شعر العلاّمة يوسف النبهاني رحمه اللّه.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

وهذه امرأةٌ طاعنةٌ في السِّنِ علَّمتْها التَّجربةُ - والعمرُ تجربةٌ لمن أرادَ جدُّ غنيةٍ - أنَّ الحُبَّ موضوعُهُ الخيرُ، وأنَّ الخيرَ مِنَ اللّٰهِ، وأنَّ رسولَ الخيرِ رسولُ اللّٰهِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم، فتعلقتْ مُحِبّةً، وتغنَّتْ متشوّقةً، وصاحتْ تائقةً إلى ساعةِ وصالٍ، وجَمْعِ دارٍ:

على مُحَمَّدٍ صلاةُ الأبرارْ صلَّى عليكَ المصْطَفوْنَ الأخيارْ
قدْ كُنتَ قوَّاماً بَكيَّ الأسحارْ يا ليتَ شعري والمنايا أطوارْ
هلْ تجمعُني ومُحَمَّداً الدارْ ؟

مَنْ للشعرِ إلا مَنْ صدقَ ؟ ومَن للصدقِ إلا مَنْ أحبَّكَ ؟ ومَنْ لحُبِّكَ إلا مَنْ نظرتَ إليه ؟

أيا جِيرةَ الشِّعبِ اليماني بحقِّكُمْ
صِلوا أَوْ مُروا طيفَ الخيالِ يزورُ
بعدتُمْ ولمْ يَبعدْ عن القلبِ حبُّكُمْ
وغبتمْ وأنتمْ في الفؤادِ حضورُ
وضحوةُ عيدِي يومَ أُضحي بِقُربِكمْ
عليَّ مِنَ اللُّطفِ الخفيِّ سُتورُ [٨]

يا أيُّها العظيم صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:

أيُدركُني ضيمٌ وأنتَ ذخيرتي وأُظلمُ في الدُّنيا وأنتَ نَصيري

[٨] من شعر السيد الروّاس رحمه اللّٰه.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

الشِّعرُ طيفُ انفعالٍ تتراءى فيه الآثارُ، وكلُّ الطيوفِ الفرِحةِ دونَ طيفِ فرحةٍ بقدومِكَ:

وَرَدَ الرَّبيعُ فحيِّه يا صاحِ ... واذكرْ حديثَ الحِبِّ للأرواحِ
واسمعْ صدى الألحانِ مطربةِ الدُّنا ... والكونُ أُترعَ كأسُهُ بالرَّاحِ
قدْ طارتِ البُشرى لتعلنَ فرحةً ... جاءَ الهدى مِنْ فالقِ الإصباحِ
جاءَ الذي عمَّ الوجودَ جمالُهُ ... يا مرحباً بهديَّةِ الفتَّاحِ [٩]

وكلُّ الطيوفِ الحزينةِ دونَ طيفِ حزنِ يومِ الوداعِ إلى الرَّفيقِ الأعلى؛ والزَّهراءُ عليها السَّلام أصدقُ مَنْ عبَّرَ:

صُبَّتْ عَليَّ مَصائبٌ لو أنَّها ... صُبَّتْ عَلى الأيّام صِرنَ لياليا
ماذا عَلى مَن شمَّ تُربة أحمدٍ ... أَن لا يشمَّ مَدى الزمان غَواليا
فَإذا بَكَت قُمريَّة في ليلها ... شَجناً عَلى غصنٍ بكيتُ صباحِيا
فَلأجعلنَّ الحزنَ بَعدكَ مُؤنسي ... وَلأجعلنَّ الدمعَ فيك وِشاحيا

إيْ واللّهِ، وحسَّانُ مِنْ جملةِ الشَّاهدين:

كنتَ السوادَ لناظري ... فعَمِي عليكَ النَّاظرُ
مَنْ شاءَ بعدَكَ فليمتْ ... فعليكَ كنتُ أحاذرُ

سَيِّدي صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم، أيُّها الحريصُ على أمَّتِكَ: الشفاعةَ الشفاعةَ، والأمانَ الأمانَ.

---

[٩] من شعر رافع الرسائل وطالب الشفاعة محمود عكام.

عليكُمْ وإلاّ فالبكاءُ مَضِيعُ وفيكُمْ وإلاّ فالرَّجاءُ قطيعُ
وعنكُمْ وإلاّ فالأحاديثُ ضِلَّةٌ ومنكمْ وإلاّ فالنَّوالُ وضيعُ
وَلوعٌ ولمْ أهجعْ لأجْلِ جمالِكُمْ ومِنْ أين للطَّرْفِ الولوعِ هُجوعُ
أصولُ العُلا أنتمْ ونحنُ فروعُكمْ ويُلحقُ حُكماً بالأصولِ فُروعُ [١٠]

فاللهمَّ ألحقني بنسبِهِ، وحقِّقني بحسَبِهِ، واجعلْهُ روحاً لذاتي مِنْ جميعِ الوجوهِ، يا عظيم. صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم.

محمود

[١٠] من شعر السيد الرواس رحمه اللّه، وجزاه عنَّا خيراً.

الرَّسالة الثالثة عشرة

طبيبٌ علَّمك الله فطُوبى لمن طبَّبتَ

الجسمُ تابعُ الرُّوحِ، لا شكَّ في ذلك، ومَنِ استطاعَ التَّأثيرَ في الأُولى كانَ على التَّأثيرِ في الثَّاني أقدرَ، لا سيَّما إذا كانَ وراءَ ذلكَ كلِّهِ رعايةُ اللهِ وقدرتُهُ وحفظُهُ وحمايتُهُ.

وأنتَ يا سَيِّدي يا رسولَ اللهِ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مَنْ كانَ للرُّوحِ طبيباً، وللجسمِ كذلك؛ رعيتَ فأعطيتَ الرِّعايةَ حقَّها، وصُنتَ فكنتَ خيرَ الصائنينَ، وحميتَ فلمْ يُرَ في النَّاسِ أفضلَ منكَ حامياً.

وإذا رحمتَ فأنتَ أمٌّ أو أبٌ هذانِ في الدُّنيا هما الرحماءُ [1]

سأذكرُ هنا أيُّها الحبيبُ بعضَ ما وردَ عنكَ، وهمّي في ذي الذِّكرِ والحكايةِ أنْ أمدَّ يدَ الاستشفاءِ، فعسى نظرةُ شفاءٍ منكَ تُمِدُّني، ياخيرَ نبيٍ، وخيرَ طبيبٍ وحبيب.

فلأبدأ بقَتَادةَ، إذ أُصيبتْ عينُهُ، فسالتْ حدقتُهُ على وجنتِهِ، فأرادوا أنْ يقطعوها فقالَ: لا. حتَّى يستأمِرَكَ، فقلتَ له: (لا). ثُمَّ وضعتَ راحتَكَ الشَّريفةَ على حدقتِهِ، فغمرتَها، فعادتْ كما كانتْ، بلْ أصبحتْ أصحَّ عينيهِ [2].

---

[1] من شعر أمير الشعراء أحمد شوقي، رحمه الله.

[2] أخرجه البيهقي في "دلائل النبوة": ٣/١٠٠.

وليستْ قصةُ أبي هريرةَ ﷺ عنَّا ببعيدةٍ، يومَ شكا إليكَ النِّسيانَ فقلتَ لهُ: (**ابسُطْ رداءَكَ**)، فبسطَ، فقذفتَ بيدِكَ الشَّريفةِ مِنَ الهواءِ في الرِّداء، ثُمَّ قلتَ لأبي هريرةَ: (**ضُمَّهُ**)، فضمَّهُ، وقالَ بعدَها: فمَا نسيتُ شيئاً بعدُ [٣].

وأمَّا أبو شُرَحبيلَ، فقدْ جاءَ إلى النَّبيِّ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم، إليكَ يا أكرمَ شافعٍ وأعظمَ النَّاسِ، يشكو سَلعةً - أي وَرماً - في كفِّهِ، تحولُ بينَهُ وبينَ قائمِ السَّيفِ أنْ يقبضَ عليْهِ، وعلى عِنانِ الدَّابةِ، فقلتَ لهُ: (**ادنُ منِّي**) فدَنا، ثُمَّ نفثتَ في كفِّهِ، ووضعتَ يدكَ الشَّريفةَ الطاهرةَ المطهَّرةَ عليها، فما زلتَ تطحنُها حتَّى رفعتَها، وما مِنْ أثرٍ لهذهِ السَّلْعة [٤].

سَيِّدي يا أبا البتولِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:

لا أبالغُ في الوصفِ، وإنَّما سبيلي إلى ذلكَ النَّقلُ، وما أعظمَ نقلاً أنتَ فيهِ الخبرُ!

ولنتابعْ يا سَيِّدي، فها هو ذا معاذُ بنُ عمرو بنِ الجموحِ ﷺ يروي قصةَ يدِهِ يومَ ضربَها في معركةِ بدرٍ عكرمةُ بنُ أبي جهلٍ. يقولُ معاذٌ: فتعلقتْ يدي بجلدةٍ مِنْ جنبي، وأجهدني القتالُ عنهُ، فلقدْ قاتلتُ عامَّةَ يومي، وإنِّي لأسحبُها خلفي، فلما آذتْني وضعتُ عليها قدمي، ثمَّ تمطيتُ عليها حتَّى طرحتُها، وجئتُ رسولَ اللّٰهِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم أحملُ يدي،

---

[٣] أخرجه البخاري: كتاب المناقب، الحديث ٣٤٤٨.

[٤] أخرجه البيهقي في "دلائل النبوة": ١٧٦/٦.

فبصقَ عليها رسولُ اللّٰه صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم فلَصقتْ [٥].

ريقُكَ يا أيُّها الطبيبُ طِبٌ وطيبٌ !

فما أعظمَك ! وما أكرمَكَ ! وما أحلمَكَ !

قرآنُكَ شفاءٌ ورحمةٌ، وعطاؤكَ واسعٌ وعالٍ، ودونَهُ القِمّةُ.

وهل تُنسى خيبرٌ إذ ناديتَ: **(لأعطينَّ غداً الرايةَ رجلاً يحبُ اللّٰهَ ورسولَهُ، ويحبُّهُ اللّٰهُ ورسولهُ)** ؟

وتطلّعَ الجميعُ لهذا، ثُمَّ قلتَ: **(أينَ عليٌّ ؟)** فقالوا: هو في بيتِهِ أرمدُ، يشكو عينَهُ. فقلتَ: **(ادعوه لي)**، وجاءَ ليلقى الطِّبَ الوفي، والبلسمَ الندي، مِنْ ريقكَ يا أيُّها الزكيُّ، ومسحتَ عينَهُ، فعادتْ أفضلَ ممَّا كانتْ عليه قبلَ المرض [٦].

أيُّها الحبيبُ، يا سَيِّدي، يا أبا الزَّهراءِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:

سلامٌ عليكَ حبيباً، وسلامٌ عليكَ شفيعاً، وسلامٌ عليكَ أحمدَ ومُحَمَّداً ومحموداً.

سلامٌ عليكَ إلى يومِ الدِّينِ، يا آخرَ المرسَلين، وأكرمَ النَّبيِّين صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم.

محمود

---

[٥] أخرجه البيهقي في "دلائل النبوة": ٨٥/٣، حتى قوله: طرحتها. وبقية الرواية في "شرح الشفا": ٦٥٦/١.

[٦] متفق عليه. البخاري: كتاب فضائل الصحابة، الحديث ٣٤٩٨. ومسلم: كتاب الفضائل، الحديث ٢٤٠٦.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

الرَّسالة الرابعة عشرة

سيِّدي:
قوَّتك دونها قُوى كلِّ الرجال

سَيِّدي أيُّها القويُّ باللّهِ، المتمسِّكُ بحبلِ اللّهِ المتين:

إذا كانتِ القوَّةُ تُعتبرُ بما في القلبِ مِنْ ثقةٍ، وبما أحاطَ بالجوارحِ مِنْ متانةٍ، وبما مُكِّنَ بهِ اللِّسانُ مِنْ طاقةِ إقناع ؟ فأنتَ الأوَّلُ بينَ النَّاسِ قوةً موهوبةً مِنَ اللّهِ عطاءً حميداً، وأنتَ أنتَ خيرُ معلّمٍ يا سَيِّدي لكلِّ الأقوياءِ ليجعلوا قوتَهم تابعةً لإيمانِهم، وليكونوا في إظهارِها عقلاءَ، وفي إخفائِها عقلاءَ.

أيُّها العظيمُ بينَ النَّاسِ، ولا عظيمَ سواكَ فيهم:

مررتَ بعدَ غزوةٍ مِنْ غزواتِكَ بالسَيِّدةِ فاطمةَ ابنتِكَ الطاهرةِ عليها السَّلام، وتلك عادتُكَ، فرأتْكَ وبكتْ، وسألتَها: (**ما يُبكيكِ يا فاطمةُ ؟**). فقالتْ: يا رسولَ اللّهِ ! أراكَ قدْ شَحُبَ لونُكَ، واخلولقَتْ ثيابُكَ.

فأجبْتَها: (**يا فاطمةُ لا تبكي، فإنَّ اللّهَ بعثَ أباكِ بأمرٍ لا يبقى على ظهرِ الأرضِ بيتُ مدرٍ ولا وَبَرٍ ولاشعرٍ، إلا أدخلَهُ اللّهُ بِهِ عزاً أو ذلاً، حتَّى يبلغَ حيثُ يبلغُ اللَّيلُ والنَّهارُ**) [1].

---

[1] حياة الصحابة: ٤٧/١.

ثقةٌ دونَها الطَّودُ، وقوّةُ يقينٍ ما رُؤي لها مثيلٌ، وثباتٌ وإصرارٌ على الحقِّ لمْ يُنسجْ لهُ نظيرٌ، فهلْ هذا إلاّ رسولُ اللّهُ المختارُ الخاتمُ السَيِّدُ الأمينُ العظيم.

لن يَغْفُلَ الأقوياءُ العقلاءُ عن أروعِ مَثَلٍ في الدعوةِ إلى المواجهةِ والصَّبرِ على ذلك، يوم جاءَكَ خبَّابُ ﷺ، وأنتَ مستظلٌ في ظلِّ الكعبةِ، وطلبَ منكَ قائلاً: ألا تدعو لنا ؟! ألا تستنصرُ لنا ؟! فقلتَ:

(إنَّهُ كانَ فيمنْ كانَ قبلَكم، يُؤتى بالرَّجلِ، فيُنشرُ بمنشارِ الحديدِ مابينَ لحمِهِ وعظمِهِ، ما يصدُّهُ ذلكَ عن دينِهِ، واللّهِ ليُتِمَنَّ اللّهُ هذا الأمرَ حتَّى يسيرَ الراكبُ مِنْ صنعاءَ إلى حضرموتَ، لا يخافُ إلا اللّهَ والذئبَ على غنمِهِ، ولكنَّكم تستعجلون) [٢].

وقدْ تمّمَ اللّهُ هذا الأمرَ، إيْ وربِّكَ يا رسولَ اللّه، وزرعَ الأمانَ راياتٍ يحملُهَا المسلمون الأوفياءَ، وانتشرَ السَّلامُ شقائقَ نعمان في بقاعٍ شهدتْ روَّاداً همُّهم اللّهُ، صدقوا في طلبِهِ، وعشِقوا الإخلاصَ له.

أبا الزَّهراء صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم:

أنت المختار، صُنعتَ على عينِ اللّهِ، واللّهُ قدْ قوَّاكَ قبْل إذ بعَثَكَ، وإبَّانَ البعثةِ، وبعدَها، لأنَّكَ لم تنتَهِ، وإنْ خلصَ الجسمُ الشريفُ مِنَ الحياةِ المعتادةِ.

كنتَ صبياً، فاستُحلفتَ باللاّتِ والعُزّى فقلتَ: **(لا تسألني بهما**

---

[٢] أخرجه البخاري: كتاب الإكراه، الحديث ٦٥٤٤.

شيئاً. فو اللّهِ ما أبغضتُ شيئاً بُغضيَ لهما) [٣].

فما أشدَ ثباتَكَ !

وما أعظمَ تمسكَكَ !

وما أجرأَ القلبَ الذي ضمَّهُ صدرُكَ الشَّريفُ، يا أيُّها المختار !

وخرجتَ يوماً في قافلةٍ، وكنتَ في السابعةَ عشرةَ مِنْ عمرِكَ، ورأيتُمْ مِنَ الإبلِ جامحاً فتعرَّضْتَ لَهُ وكبحتَ جماحَهُ.

وكذلكَ بعدُ، والظروفُ في حقِّكَ سواءٌ، عندما فزعَ أهلُ المدينةِ ذاتَ ليلةٍ وانطلقَ ناسٌ قِبَلَ الصَّوتِ، وإذ بهم يَلقونَ الأمينَ عائداً قد استبرأَ الخبرَ على فرسٍ لأبي طلحةَ عُرْيٍ، والسيفُ في عنقِهِ، فقالَ لهؤلاءِ: **(لنْ تُراعوا)** [٤].

لقدْ أحاطَ بما وقعَ علماً، ليس بالإخبارِ، ولكنْ بالمعاينةِ والمكاشفةِ والمباشرة.

سأرفعُ وأرفَعُ وأرفعُ إليكَ التَّقديرَ ما حييتُ، وسأبقى أردِّدُ على المسامعِ والآذانِ ما ردَّدهُ سلفي الصالحُ قبلي، وعلى رأسِهم الإمامُ عليٌ ﷺ صهرُكَ إذ قال:

(كنَّا إذا حميَ البأسُ واحمرَّتِ الحَدَقُ اتَّقينا برسولِ اللّهِ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم، فما يكونُ أحدٌ أقربَ إلى العدوِّ منْهُ، ولقدْ رأيتُني يومَ بدرٍ ونحنُ نلوذُ بالنَّبيِّ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم، وهو أقربُنا إلى العدوِّ،

---

[٣] عيون الأثر: ٦٢/١.

[٤] متفق عليه. البخاري: كتاب الجهاد، الحديث ٢٧٥١. ومسلم: كتاب الفضائل، الحديث ٢٣٠٧.

وكانَ أشدَ النَّاسِ بأساً على الأعداء) [٥].

وما كانَ يقولُهُ عبد اللّه بنُ عمرَ ﷺ: **(ما رأيتُ أشجعَ ولا أنجدَ ولا أجودَ ولا أرضى مِنْ رسولِ اللّهِ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم)** [٦].

وكذلكَ ما حكاهُ البراءُ بنُ عازبٍ ﷺ إذ كانَ يقولُ: الشجاعُ هو الذي يَقربُ مِنَ النَّبيِّ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم إذا دنَا العدوُّ، لقربِهِ مِنَ العدوِّ [٧].

نعمتِ الشَّهاداتُ هذه، وبذي الشَّهادتِ سمَا الشاهدونَ، وعلتْ مراتبُهم، فقدْ أصابوا بالثَّناءِ حقاً، وقالوا في الامتداحِ صدقاً.

سَيِّدي يا رسولَ اللّهِ، يا سَيِّدَ الشُّجعان:

في حُنينٍ يطأطئُ تاريخُ الشَّجاعةِ لكَ إجلالاً، بقيتَ وحدَكَ وحدَك، وانفضَّ مَنْ كانَ حولَكَ، ورحتَ تقولُ بصوتٍ ملؤهُ الإيمانُ، ونغمتُهُ اليقينُ، ووتيرتُهُ الاطمئنان:

أنا النَّبيُّ لا كذبْ أنا ابنُ عبدِ المطلبْ

وها أنا أحكي عنكَ في ختامِ هذهِ الرِّسالةِ ما رواهُ عروةُ بنُ الزبيرِ، فاسمعيْ يا دنيا، واسمعوا يا أهلَها، وأنصتوا يا مجاهدين، واستوعبوا يا ناس، لقدْ قالَ أُبيُّ بنُ خلفٍ يومَ أحدٍ: أينْ مُحَمَّدٌ ؟ لا نجوتُ إن نجا.

---

[٥] أخرجه أحمد: الحديث ١٤٦، ١٥٦/٢. والحديث ٦٥٤، ٤٤٩/١.

[٦] أخرجه الدارمي: المقدمة، الحديث ٥٩.

[٧] أخرج مسلم نحوه: كتاب الجهاد، الحديث ١٧٧٦.

وكانَ يردِّدُ قبلَها في بدرٍ: عندي فرسٌ أعلفُها كلَ يومٍ فَرْقاً مِنْ ذُرةٍ أقتلُكَ عليها. فقالَ لهُ النَّبيُّ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم يومَها: (**أنا أقتلُكَ عليها إنْ شاءَ اللّٰهُ**).

فلمَّا رآهُ شدَّ أُبيُّ بنُ خلفٍ على فرسِهِ على رسولِ اللّٰهِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم، فاعترضَهُ رجالٌ مِنَ المسلمين، فقالَ رسولُ اللّٰهِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم هكذا - أيْ أشار بيده الشريفة أن تنحَّوْا عنْهُ - وتناولَ حربةً مِنَ الحارثِ بنِ الصِّمةِ، فانتفضَ النَّبيُّ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم بها انتفاضةً تطايروا تطايرَ الشَّعْراء من حولهُ.

ثُمَّ استقبلَ النَّبيُّ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم أُبيَّ بنَ خلفٍ بالحربةِ فطعنَهَ في عنقِهِ طعنةً تدَأدأَ منها عنْ فرسِهِ مِراراً، وكسرَ ضلعَهُ، ورجعَ إلى قريشٍ يقولُ: قتلني مُحَمَّدٌ. وهمْ يقولونَ: لا بأسَ بكَ. فقال لهم: لو كانَ ما بي بجميعِ النَّاسِ لقتلَهم، أليسَ قدْ قالَ: أنا أقتلُكَ. واللّٰهِ لو بصقَ عليَّ مُحَمَّدٌ لقتلني، ثُمَّ ماتَ [٨].

لا واللّٰهِ، مَا عاشَ مَنْ يهدِّدُ مُحَمَّداً صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم، فتهديدُ مُحَمَّدٍ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم تهديدُ الإنسانيةِ، تهديدُ الحرِّيةِ، تهديدُ الضَّميرِ، تهديدُ الأمانِ، تهديدُ الأمنِ، تهديدُ السَّلامِ والاطمئنانِ.

سَيِّدي رسولَ الحقِّ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:

مَنْ للشَّجاعةِ إنْ لمْ تكنْ لها ؟

---

[٨] السيرة النبوية لابن هشام في أحداث غزوة أحد.

ومَنْ للحكمةِ إنْ لمْ تكنْ لها ؟

فأنتَ أنتَ الشجاعةُ والإيمانُ، والحكمةُ والأمانُ.

دمتَ علينا حامياً، وعنَّا مدافعاً، وعنِ الشَّريعةِ الغرَّاءِ مكافحاً.

وجزاكَ اللّهُ عنَّا يا سَيِّدي كلَّ خيرٍ، وكلَّ فضلٍ، وكلَّ إحسانٍ، وكلَّ امتنان.

محمود

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

الرِّسالة الخامسة عشرة

سيِّدي:
لُطفُك فاقَ كلَّ لُطف

يا أيُّها الحبيبُ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم:

قرأتُ سِيَراً كثيرةً، فلمْ أجدْ كسيرتِكَ، واطَّلعتُ على شيمٍ كثيرةٍ، فلمْ أطَّلعْ على مثلِ شيمِكَ.

الحبُّ لا يغادرُكَ، والأُنسُ يستأنسُ بِكَ، واللُّطفُ حالٌ لا تكادُ تفارقُكَ.

فما أعظمَكَ ! وما ألطفَكَ !

وما أكملَكَ ! وما أجملَكَ !

سَيِّدي يا رسولَ اللّهِ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم:

إذا كانَ القلبُ يتعلَّقُ عبرَ مساربَ تربطُ بينهَ وبينَ موضوعِ التَّعلقِ، وتهفو مِنْ خلالِ مسالكَ تنقلُ لهُ ما يتناسبُ معَهَ وينسجمُ وتركيبتَهُ، فأحرِ بعدَ تدقيقٍ أن تكونَ جميعُها، مساربَ ومسالكَ، واصلةً بينَ القلوبِ المُحبَّةِ وبين المصطفى صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم، إذ هو، أعني أنتَ يا رسولَ اللّهِ، الأنسبُ والأجدرُ في عالَم الإنسانِ مِنْ أجلِ أن تكونِ المتعلَّق لقلوبٍ ترجو حُبَّاً وتبغي في الحُبِّ صدقاً.

أنتَ يا أبا القاسمِ متمِّمُ الأخلاقِ الصالحة، وهكذا قلتَ، وقولُكَ

حقٌّ: (بُعثتُ لأتمِّمَ صالحَ الأخلاقِ) [1].

وقدْ وصفَكَ عبدُ اللّهِ بنُ عمرو نقلاً عن ما جاءَ في التَّوراةِ فقالَ: إنَّهُ لموصوفٌ في التوراة ببعضِ صفتِهِ في القرآنِ:

(يا أيُّها النَّبيُّ إنَّا أرسلنَاكَ شاهداً ومبشِّراً ونذيراً وحرزاً للأمِّيين. أنتَ عبدي ورسولي، سمَّيتُكَ المتوكِّلَ، ليسَ بفظٍ ولا غليظٍ، ولا صخَّابٍ بالأسواقِ، ولا يدفعُ بالسيئةَ السيئةِ، ولكنْ يعفو ويغفرُ، ولنْ يقبضَهُ اللّهُ تعالى حتَّى يُقيمَ بِهِ الملَّةَ العوجاءَ، بأنْ يقولوا: لا إلهَ إلاّ اللّهُ، ويفتحَ به أعيناً عُمياً، وآذاناً صُمَّاً، وقلوباً غلفاً) [2].

وأمَّا أنسٌ خادمُك ﷺ فقدْ قالَ عنكَ يا رسولَ الحُبِّ واللُّطفِ:

(كانَ رسولُ اللّهِ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم أشدَ النَّاسِ لطفاً، واللّهِ ما كانَ يمنعُ في غداةٍ باردةٍ مِنْ عبدٍ ولا أمَةٍ تأتيه مِنَ الماءِ، فيغسلُ وجهَهُ وذراعيه، وما سألَهُ سائلٌ قطُ إلاّ أصغى إليه، فلا ينصرفُ حتَّى يكونَ هو - أي السائل - الذي ينصرفُ عنهُ، وما تناولَ أحدٌ قطُ يدَهُ إلا ناولَهُ إيَّاها، فلا ينزعُ يدَهُ حتَّى يكونَ الرَّجلُ هو الذي ينزعُ منه) [3].

ويتابعُ أنسٌ شهادةَ اللُّطفِ بسَيِّدِ اللُّطفاءِ، فيقولُ:

(خدمتُ رسولَ اللّهِ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم عشْرَ سنين فما قالَ لي:

---

[1] أخرجه أحمد: الحديث ٨٩٣٢، ٢٥٦/٩.

[2] أخرجه البخاري: كتاب البيوع، الحديث ٢٠١٨.

[3] أخرجه ابن حجر في "المطالب العالية": الحديث ٣٨٥٩. وابن سعد في "الطبقات الكبرى": ٣٧٨/١.

أُفٍّ قط، وما قالَ لي لشيءٍ فعلتُه: لمَ فعلتَهُ ؟ ولا لشيءٍ لمْ أفعلْهُ: لِمَ لَمْ تفعلْهُ ؟) [٤].

"وما سبَّني سَبَّةً قط، ولا ضربني ضربةً، ولا انتهرني، ولا عبسَ في وجهي، ولا أمرَني بأمرٍ فتوانيتُ فيه فعاتبني عليه، فإنْ عاتبني عليه أحدٌ مِنْ أهلِهِ قالَ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم: **(دعوه. لو قُدّرَ شيءٌ كان)**"، هكذا يتابعُ أنسٌ [٥].

أيُّها المختارُ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:

أَهْلُكَ وأزواجُكَ تاهوا تيهَ إعجابٍ في رحابِ لطفِكَ، وحاروا حَيرةَ إكبارٍ في سماءِ عطفِكَ، واللُّطفُ والعطفُ وجهانِ متقابلانِ في علاقةِ الإنسانِ بالإنسانِ، على أرضِ الإحسان.

ها هي ذي عائشةُ رضي اللّٰه عنها، أو عائشُ، زوجُكَ المصونُ، تحكي عنكَ قصةَ الأمانِ مرصَّعةً بيواقيتِ الأُنسِ، تقولُ: خرجتُ معَ رسولِ اللّٰهِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم في بعضِ أسفارِهِ، وأنا جاريةٌ حديثةُ السِّنِ لمْ أحملْ اللَّحمَ ولمْ أَبدُنْ، فقالَ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم للنَّاسِ: **(تقدَّموا)**. ثُمَّ قالَ: **(تعالَيْ حتَّى أسابِقَكَ)** فسابَقْتُهُ فسبقْتُهُ.

فسكتَ عنِّي حتَّى حملتُ اللَّحمَ وبدنتُ وسمنتُ، فخرجتُ معهُ في بعضِ أسفارِهِ، فقالَ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم: **(تقدَّموا)** فتقدَّموا.

---

[٤] أخرجه أحمد: الحديث ٢٩٦٨، ٧٢/١١.

[٥] أخرجه أبو نعيم في "دلائل النبوة": الحديث ٥٧. وأحمد: ٢٣١/٣، من طبعة المعجم المفهرس لألفاظ الحديث.

فقالَ: (**تعالَيْ أسابقكِ**) قالتْ عائشةُ رضيَ اللّٰهُ عنها: فسبقَني. فجعلَ رسول اللّٰه صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم يضحكُ ويقولُ: (**هذه بتلك**) [٦].

وكذلك شبَّانُكَ يشهدونَ، بحالِهم قبلَ قالِهم، وبقالِهم النَّابعِ مِنْ قلوبهم، يشهدون يا سَيِّدي بأنَّكَ ألطفُ النَّاسِ عِشرةً، وأنَّكَ أكرمُ النَّاسِ ظُرفاً، وأنَّكَ الذي لا نظيرَ لكَ في سِجلِّ محافلِ الرِّقةِ والرُّفقِ.

أيُّها الأنيسُ والشفيقُ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:

ومَنْ لمثلِ هذه الصفاتِ في الخُلق إلاّكَ ؟

لقدْ عطشتَ يوماً مع ثُلةٍ مِنْ أصحابِكَ، كما يروي أبو قتادة، ورحتَ تسقيهم معَ الماءِ الذي يشربون عطاءَ الحُبِّ، فها هم أولاء جميعاً شربوا ولمْ تشربْ بعدُ، و قلتَ لأبي قتادة: (**إنَّ ساقي القومِ آخرُهم شرباً**) [٧].

فجَلَّ الذي أعطاكَ، وتباركَ مَنْ سوَّاكَ، يا أحسنَ النَّاسِ، يا أيُّها المختارُ، طبتَ ساقياً وشارباً، طبتَ رفيقاً وعظيماً.

وعلى النَّاسِ أن يتعرَّفوا عليكَ، إذا ما أرادوا الأسوةَ الإنسانيةَ الرَّفيعةَ.

وعلى أربابِ الصياغاتِ التَّعايشيةِ أن يلجؤوا إليكَ، إذا ما حرصوا على رسمِ ملامحِ قدوةٍ في ميادين اللِّقاء المثمرةِ، والتّبادلِ الحسنِ في علاقاتِ العيشِ المشترك.

سُئلت عنكَ السَيِّدةُ عائشةُ رضي اللّٰهُ عنها، عمَّا كنتَ تعملُ في

---

[٦] أخرجه أحمد: الحديث ٢٤٠٠١، ٢٣٥/١٧.

[٧] أخرجه مسلم: كتاب المساجد، الحديث ٦٨١.

البيتِ، فأجابتْ بأريحيةِ المقتنعِ دونَ أدنى ريبٍ: (**كانَ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بشراً مِنَ البشرِ، يخصفُ نعلَهُ، ويرقعُ ثوبَهُ، ويحلبُ شاتَهُ، ويعملُ ما يعملُ الرَّجلُ في بيتِه**) [٨].

على أعتابِ ذكرى اللُّطفِ منكَ أتهادى نشوانَ، لأنِّي مُنتَمٍ لهذا الفضاءِ المشبعِ بالهواءِ المنعشِ، والمليءِ بالنُّورِ المشعِّ المضيءِ.

لقدْ كتبتُ بقلمي، ولكنَّ النَّقلَ تمَّ مِنْ بعضِ ما حواه قلبي.

فيا ساكنَ القلبِ، ويا مدادَ القلم:

أنتَ اللُّطفُ جُلُّهُ، وأنتَ الأُنسُ في تجلياتِهِ الإنسانيةِ الكبيرةِ.

لكَ أنا بعضُ هديَّة.

وافعلْ ما شئتَ.

فلقدْ غدوتُ اليومَ لكَ ...

يا معنى حروفِ اللُّطف. صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم.

محمود

---

[٨] أخرجه أحمد: الحديث ٢٦٠٧٢، ١٥٧/١٨. والحديث ٢٦١١٧، ١٦٧/١٧.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

الرِّسالة السَّادسة عشرة

سيِّدي:

في الذِّكرى تحلو الكلمات من هنا وهناك

تطيبُ الذِّكرى، وتلَذُّ المناجاةُ، وتحلو العباراتُ، وتُسكَبُ للفرحةِ عَبَراتٌ، فلقدْ نادَى منادي السَّماءِ منذُ أربعةَ عشرَ قرناً:

أَنْ يا سماءُ تزيّني، ويا دنيا غرِّدي، فلقدْ وُلدَ مُحَمَّدٌ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم:

فَمَبلغُ العلمِ فيه أنَّهُ بشرٌ وأنَّهُ خيرُ خلقِ اللّهِ كلِّهم

فالجمالُ فوقَ المثالِ:

سألَ رجلٌ البراءَ بنَ عازبٍ ﷺ: أكانَ وجهُ رسولِ اللّهِ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم مثلَ السَّيفِ ؟ قالَ: لا، بلْ مثلَ القمرِ [1].

والخُلُق ما فوقَهُ مقامٌ:

قال الحسينُ بن عليٍّ عليهما السَّلام: سألتُ أبي ﷺ كيفَ كانَ رسولُ اللّهِ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم ؟ فقالَ كرَّم اللّهُ وجهه:

(كانَ رسولُ اللّهِ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم دائمَ البِشرِ، سهلَ الخُلقِ،

---

[1] أخرجه البخاري: كتاب المناقب، الحديث ٣٣٥٩.

ليِّنَ الجانب، ليسَ بفظٍ ولا بغليظٍ ولا صخّابٍ، ولا فحّاشٍ ولا عيَّاب، يتغافلُ عمَّا لا يشتهي، ولا يؤيِّسُ راجيَهُ.

قد تركَ نفسَهُ مِنْ ثلاثٍ: المراءِ، والإكثارِ، وما لا يعنيه.

وتركَ النَّاسَ مِنْ ثلاثٍ: كان لا يذمُّ أحداً ولا يَعيبُهُ، ولايطلبُ عورتَهُ، ولا يتكلَّمُ إلا فيما رجا ثوابَهُ.

وإذا تكلَّمَ أطرقَ جلساؤهُ، كأنَّما على رؤوسِهِمُ الطيرُ، فإذا سكتَ تكلموا. لا يتنازعونَ عندَهُ الحديثَ، ومَنْ تكلَّمَ عندَهُ أنصتوا لهُ حتَّى يفرغَ، حديثُهم عندَهُ حديثُ أوَّلِهم.

يضحكُ ممَّا يضحكونَ منهُ، ويتعجَّبُ ممَّا يتعجبونَ منهُ، ويصبرُ للغريبِ على الجفوةِ في منطقِهِ ومسألتَهِ، ولا يقبلُ الثَّناءَ إلا مِنْ مكافىءٍ. ولا يقطعُ على أحدٍ حديثَهُ حتَّى يجوزَ، فيقطعَهُ بنهيٍ أو قيامٍ) [٢].

ويقولُ الواصفُ نفسُهُ الإمامُ عليٌ ﷺ: **(ما رأيتُ أحداً أكثرَ تبسُّماً من رسولِ اللّٰهِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم)** [٣].

والجودُ أعظمُ مِنَ الكلامِ مهما كانَ:

يأتيه رجلٌ فيسألُهُ، فيقولُ النَّبيُّ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم: **(ما عندي شيءٌ ! ولكن ابْتعْ عليَّ، فإذا جاءني شيءٌ قضيتُهُ)**.

فقال عمر ﷺ: يا رسولَ اللّٰهِ قد أعطيتَهَ ! فما كلَّفَكَ اللّٰهُ ما لا تقدرُ

---

[٢] أخرجه الطبراني في الكبير، الحديث ١٨٢٦٠. وأبو نعيم في "معرفة الصحابة"، الحديث ٥٩٥٨.

[٣] أخرجه الترمذي: كتاب المناقب، الحديث ٣٦٤١.

عليه. فكرهَ رسولُ اللّهِ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم قولَ عمرَ، فقالَ رجلٌ مِنَ الأنصارِ: يا رسولَ اللّهِ أنفقْ، ولا تخفْ مِنْ ذي العرشِ إقلالاً، فتهلَّلَ وجهُ رسولِ اللّهِ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم، وعُرِفَ في وجهِهِ البِشرُ، وقال: **(بهذا أُمرتُ)** [٤].

أمَّا عبادتُهُ:

فيقولُ عنهُ واصفوه: كانَ رسولُ اللّهِ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم يصلِّي حتَّى تَرِمَّ قدماهُ. قالَ: فقيلَ لهُ: أتفعلُ هذا وقدْ غفرَ لكَ ما تَقدَّمَ مِنْ ذنْبِكَ ومَا تأخرَ ؟ فقال صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم: **(أفلا أكونُ عبداً شكوراً ؟)** [٥].

وينقلُ أبو الشَّيخِ عنهُ: **(أتيتُ رسولَ اللّهِ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم وهو يصلِّي، ولجوفِهِ أزيزٌ كأزيزِ المرجلِ مِنَ البكاء)** [٦].

وإنْ أردتَ وصفاً لتواضعِهِ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم:

فاقرأْ سيرتَهَ وسَلْ معايشيهِ، فإنَّكَ سامعٌ ما لمْ تسمعْهُ عنْ أحدٍ سواه: كانَ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم يُدعى إلى خبزِ الشَّعيرِ والإهالةِ السَّنِخَةِ فيُجيب [٧].

---

[٤] شرح الشفا: ٢٥١/١. والشمائل المحمدي: الحديث ٣٤٧.

[٥] أخرجه البخاري: كتاب التفسير، الحديث ٤٥٥٧.

[٦] أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، الحديث ٩٠٤. والنسائي: كتاب السهو، الحديث ١٢١٣.

[٧] أخرجه البخاري: كتاب البيوع، الحديث ١٩٦٣. والإهالة: مرق اللحم، والسَّنخة: لها رائحة.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

وكانَ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم يحلبُ شاتَهُ، ويرقعُ ثوبَهُ، ويخصفُ نعلَهُ، ويكونُ في خدمةِ أهلهِ، وإنَّ المرأةَ لتأخذُ بيدهِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم إلى إحدى سككِ المدينةِ لتسألَهُ عن حاجةٍ لها فيُجيب [٨].

سلْ يا طالبَ الحقِّ عنهُ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم وتابعْ، سلْ عن جوعهِ، وكيفَ كانَ يتحمَّلُ ذلكَ مِنْ أجلِ أمَّتِهِ وشعبِهِ.

سَلْ أبا طلحةَ ﷺ كيف شكا إلى الرَّسولِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم الجوعَ ورفعَ عن بطنِهِ حَجراً، فرفعَ الرَّسول صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم عن بطنِهِ حَجرين [٩].

حتَّى إذا أكلَ أكلَ البسيطَ، وردَّدَ: (**نِعمَ الإدامُ الخلُّ**) [١٠].

يقولُ النُّعمانُ بنُ بشيرٍ: إنَّ النَّبيَّ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم يظلُّ اليومَ يلتوي ولا يجدُ مِنَ الدَّقَلِ ما يملأُ بطنَهُ [١١].

وهلْ بعدَ هذا عظمةٌ بشريةٌ يمكنُ أنْ تُذكَرَ بجانبِ الذي ذكرنا ؟!

فيا سيِّدَ النَّاسِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:

أنتَ مُحَمَّدٌ، وأنتَ أحمدُ، وأنتَ الماحي الذي محا اللّٰهُ بكَ الكُفرَ، وأنتَ العاقبُ، وأنتَ نبيُّ الرَّحمةِ، وأنتَ نبيُّ التَّوبةِ، وأنتَ نبيُّ الملاحمِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم.

---

[٨] أخرجه أحمد: الحديث ٢٦١١٧، ١٦٧/١٨.

[٩] أخرجه الترمذي: كتاب الزهد، الحديث ٢٣٧١.

[١٠] أخرجه مسلم: كتاب الأشربة، الحديث ٢٠٥٢.

[١١] أخرجه مسلم: كتاب الزهد، الحديث ٥٩٧٨. الدقل: التمر الردئ.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

طوبى لنا بكَ، وليتَ أنَّا عشنَا مَعَكَ، وكلُّنَا أملٌ أنْ نكونَ ممَّنْ قلتَ عنهم: (**مِنْ أشدِّ أمتي لي حُبَّاً ناسٌ يكونون بعدي، يودُّ أحدُهم لو رآني بأهلِهِ ومالِه**) [١٢].

طِبتَ يا سيِّدي حيَّاً؛ نبياً، ورسولاً، وعابداً، ومتواضعاً، وجَواداً، وعظيماً، وخَلوقاً، وجميلاً.

طِبتَ ميتاً؛ وقدْ حرَّمَ اللّهُ على الأرضِ أنْ تأكلَ الجسدَ الشَّريفَ.

طِبتَ في روضِكَ الباهي، تبلِّغُكَ الملائكةُ سلاماتِ أتباعِكَ وصلواتِهمْ عليك: (**إنَّ للّهِ ملائكةً سياحين يبلغونَني عن أمَّتي السلامَ**) [١٣].

طِبتَ يا مَنْ لا يتمثَّلُ الشَّيطانُ بكَ وحاشاكَ؛ فمَنْ رآكَ فقدْ رآكَ، والشيطانُ أبداً لا يقربُ من رحابِكَ الطَّاهرةِ، وهيهات.

فيا جِيرةَ الشِّعبِ اليماني بحقِّكمْ ... صِلوا أو مُروا طيفَ الخيالِ يزورُ
بعدتُمْ ولمْ يبعُدْ عنِ القلبِ حُبِّكُمْ ... وغبتُمْ وأنتمْ في الفؤادِ حضورُ
وضحوةُ عيدي يومَ أُضحي بقربِكُمْ ... عليَّ مِنَ اللُّطفِ الخفيِّ ستورُ [١٤]

محمود

---

[١٢] أخرجه مسلم: كتاب الجنة، الحديث ٢٨٣٢.

[١٣] أخرجه النسائي: كتاب السهو، الحديث ١٢٨١.

[١٤] من شعر عبد الرحيم بن أحمد البُرعي المتوفى ٨٠٣ هجرية.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

الرِّسالة السَّابعة عشرة

نِقَاط قياسيَّة

سيِّدي، يا أيُّها الإنسانُ الأعظمُ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:

يحملُ الإنسانُ لقبَ البطولةِ مِنْ خلالِ موقفٍ ربحَ فيهِ وأَعجزَ الآخرين، ويبقى يحملُ اللَّقبَ ويُسلّمُ لهُ النَّاسُ، هذا ما لمْ يأتِ آتٍ بأكثرَ ممَّا أتى بهِ الأوَّلُ.

أمَّا مواقفُكَ، يا سيِّدي، تلكَ التي حمَّلْتْكَ عنوانَ سيِّدِ النَّاسِ و واجبِ الاتِّباعِ، فلمْ تزلْ واضحةً مشرقةً.

لمْ يخْبُ نورُها، ولمْ يضعفْ بريقُهَا، ولمْ يَزَل الآخرون في عجزٍ عن الإتيانِ بمثلِهَا، بلْ حتَّى بالقريبِ منها؛ إنْ شئتَ قلْ حتَّى بالصورةِ المصغَّرةِ عنها...

فللعالَمِ كلِّهِ سجلٌّ قياسيٌّ واحدٌ، ولكَ وحدَكَ سجلٌّ قياسيٌّ يفوقُ ذلكَ السجلَّ !

فما أعظمَكَ ! وما أروعَكَ !

وليسَ لي أنْ أذكرَ كلَّ ما في سجلِّكَ، وأنَّى للصَّغيرِ أنْ يحيطَ بالكبيرِ، إلاّ أنَّي أستأذنُكَ، يا سيِّدَ الخَلقِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم، لأذكرَ هنا بعضَ ما في السِّجلِّ المنيرِ المنوِّرِ، فعَسَاها تغدو لأمَّتي اليومَ موئلَ نورٍ، ومرجعَ أمانٍ، ومآبَ اطمئنان.

لقدْ قلتَ يا أيُّها العظيمُ:

(ما مِنَ الأنبياءِ نبيٌّ إلاَّ أُوتيَ مِنْ الآياتِ مامثلُهُ آمنَ عليه البشرُ، وإنّما كانَ الذي أوتيتُهُ وحياً أوحاه اللّهُ إليَّ، فأرجو أنْ أكونَ أكثرَهم تابعاً يومَ القيامة) [1].

نعمْ يا سيِّدي:

كلُّ مواقفِكَ وحيٌ دونَ استثناءٍ، وها أنا ذا أُباشرُ ذكرَ ما وعدتُ بهِ قومي... مِنْ فَيضِ فيضِ عطائِكَ، ونهلِ معينِ إكرامِ اللّهِ لكَ.

فما أروعَ ما حدثَ إذ انشقَّ القمرُ تأييداً لكَ !

فقدْ جاءَ عبرَ السَّندِ الصَّحيحِ: انشقَّ القمرُ على عهدِ رسولِ اللّهِ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم فرقتين: فرقةً على الجبلِ، وفرقةً دونَهُ، فقالَ رسولُ اللّهِ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم: **(اشهدوا)** [2].

وليسمعْ ذوو السِّجلاَّتِ عامّةً ما رواه ابنُ مسعودٍ عنكَ حينَ قالَ:

كنتُ غلاماً يافعاً أرعى غنماً لعقبةَ بنِ أبي مُعَيْطٍ، فأتى عليَّ رسولُ اللّهِ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم وأبو بكرٍ وقدْ فرّا مِنَ المشركين فقالا: يا غلامُ عندكَ لبنٌ تسقينا ؟ قلتُ: إنِّي مؤتمنٌ. فقالَ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم: **(هلْ عندَكَ مِنْ جذَعةٍ لمْ ينزُ عليها الفحلُ ؟)**. فقلتُ: نعمْ. فأتيتُهما بها، فاعتقلَها أبو بكرٍ، وأَخذَ رسولُ اللّهِ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم الضَّرعَ فمسحَهُ، فهلَّ الضَّرعُ، فأتاهُ أبو بكرٍ بصخرةٍ مقعَّرةٍ فحلبَ فيها، ثُمَّ

---

[1] متفق عليه. البخاري: كتاب الاعتصام، الحديث ٦٨٤٦. ومسلم: كتاب الإيمان، الحديث ١٥٢.

[2] أخرجه البخاري: كتاب التفسير، الحديث ٤٥٨٣.

شربَ هو وأبو بكرٍ وسقاني، ثُمَّ قالَ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم للضَّرعِ: **(اقلُصْ)** فقلصَ كما كانَ [٣].

وأمَّا الجِذعُ الباكي الحزينُ فحدِّثْ عنهُ ولا حرجَ، لقدْ تأَوَّهَ للفراقِ، فراقِكَ يا سيِّدي يا رسولَ اللّٰهِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم، وقدْ روى الرُّواةُ الثِّقاتُ:

كانَ رسولُ اللّٰهِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم يقومُ إلى جِذعٍ، فلمَّا اتَّخذَ المنبرَ وقعدَ عليهِ، خارَ الجِذعُ كخُوارِ الثَّورِ حتَّى ارتجَّ المسجدُ بخوارِهِ، فنزلَ إليهِ رسولُ اللّٰهِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم فالتزمَهُ، فسكتَ. فقالَ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم: **(والذي نفسي بيدِهِ، لو لمْ ألتزمْهُ لما زالَ هكذا إلى يومِ القيامةِ)** [٤].

ولنتابعْ حديثاً عن بعضِ النُّقاطِ القياسيةِ، في سجلِّ الإنسانِ القياسيِّ على الإطلاقِ:

يروي ابنُ مسعودٍ ﷺ: كنَّا نسمعُ تسبيحَ الطَّعامِ وهو يُؤكلُ في حالِ أكلِنا مَعَ رسولِ اللّٰهِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم [٥].

ويقولُ جابرٌ ﷺ: عطشَ النَّاسُ وقتَ الحُديبيةِ، ورسولُ اللّٰهِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم بينَ يديهِ ركوةٌ يتوضَّأُ بها، ثُمَّ أقبلَ النَّاسُ نحوَه، فقالَ رسولُ اللّٰهِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم: **(مالكم ؟)** قالوا: يا رسولَ اللّٰهِ

---

[٣] أخرجه أحمد: الحديث ٣٥٩٨، ٥٠٥/٣.

[٤] أخرجه الدارمي: المقدمة، الحديث ٤١.

[٥] أخرجه البخاري: كتاب المناقب، الحديث ٣٣٨٦.

ليسَ عندنا ما نتوضَّأُ بهِ ولا نشربُ، إلا ما في ركوتِكَ. قالَ: فوضعَ النَّبيُّ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم يدَهُ في الرَّكوةِ، فجعلَ الماءُ يفورُ مِنْ أصابعِهِ كأمثالِ العيونِ.

قالَ: فشربْنَا وتوضأْنَا. فقلتُ لجابرٍ: كمْ كنتمْ يومئذٍ ؟ قال: لو كنَّا مئةَ ألفٍ لكفانا، كنَّا خمسَ عشرةَ مئةٍ [٦].

ونُقَلِّبُ بعضَ صفحاتِ هذا السِّجلِّ بكلِ أدبٍ، لنرى أيضاً ما نواهُ أبو جهلٍ، وما تحدَّى بهِ يومَ قالَ، وهذا ديدنُ ذوي العداوةِ والبغضاءِ: لئنْ رأيتُهُ يصلِّي لأطأنَّ على رقبتِهِ، أو لأعفرنَّ وجهَهَ بالتُّرابِ. فأتى رسولَ اللّهِ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم وهو يصلِّي، ليطأَ على رقبتِهِ، فما فجأَهم منهُ إلاَّ وهو ينكفىءُ على عقبيه ! فقالَ رسولُ اللّه صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم: **(لو دنا منِّي لاختطفتْهُ الملائكةُ عُضواً عضواً)** [٧].

أمَّا الإسراءُ والمعراجُ، تلكَ المعجزةُ الباهرةُ، فأكرِمْ بها مِنْ نقطةٍ قياسيَّةٍ لا يطالُها كلُ من سعى إلى المبارزةِ والمبادرةِ.

ففي جزءٍ مِنْ ليلةٍ أُسريَ بهِ مِنْ مكَّةَ إلى بيتِ المقدسِ، ثُمَّ عُرجَ بهِ مِنْ هناك إلى السَّماواتِ العُلى، إلى سِدرةِ المنتهى، ورأى مِنْ آياتِ ربِّهِ الكبرى ما رأى، فسبحانَ من أسرى بكَ يا سيِّدي، وجلَّ شأنُهُ وعزَّ مقامُهُ.

---

[٦] أخرجه البخاري: كتاب المناقب، الحديث ٣٣٨٣.

[٧] أخرجه مسلم: كتاب صفة الجنة، الحديث ٢٧٩٧.

اصطفاكَ لرسالةِ الخلودِ.

وأعطاكَ أعلى مقاماتِ الشُّهودِ.

وهيَّأَ أُمَّتَكَ للشَّهادةِ على حفظِ العهود.

وأخيراً:

هلْ مِنْ منافسٍ فيتبارى ؟

وهلْ مِنْ... ؟ وهلْ مِنْ... ؟

أينَ ما أتى بهِ الجميعُ، في عالَمِ المبادىءِ والدَّساتيرِ، بجانبِ ما أَنزلَهُ عليكَ العليمُ الخبيرُ ؟

أينَ كتبُهمْ مِنْ كتابِ ربِّكَ ؟!

وأينَ قوانينُهمْ مِنْ قانونِ السَّماءِ الذي أُوحيَ إليكَ قرآناً بدأَ في غارِ حراء، وانتهى في جبلِ الرَّحمةِ في عرفات ؟!

أينَ ما كتبوا ممَّا جاءَ مِنْ عندِ اللّٰهِ ؟!

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ الإسراء: ٨٨.

سيِّدي يا أبا الزَّهراءِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:

سجلُّكَ عظيمٌ لأنَّهُ سجلُّكَ، ونِقاطُكَ القياسيَّةُ عظيمةٌ، لا يُمكنُ أَنْ يُحقِّقَها ولا بعضَها إنسانٌ، فأنت:

لمْ يَخلقِ الخلاَّقُ خَلقاً مثلَهُ لا خُلقَهُ لا خَلقَهُ لا شكلَهُ

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

لا أصلَهُ لا عدلَهُ لا فضلَهُ لا بعدَهُ لا قبلَهُ تعميما

صلُّوا عليه وسلِّموا تَسْليما [٨]

عليكَ يا سيِّدي أفضلُ ما صلَّى اللّٰهُ على مرسَلٍ، يا صاحبَ السِّجلِّ الأمثل، في عالَمِ الإنسانيةِ الفُضلى.

محمود

[٨] من شعر العلامة يوسف النبهاني رحمه الله.

الرِّسالة الثامنة عشرة

سيِّدي:
أنت العبدُ العابد والخليفة السَّاجد

إي واللّهِ، يا سيِّدي يا رسولَ اللّه:

أنتَ العبدُ الأسمى، والعابدُ الأتقى، والخليفةُ الأكملُ، والسَّاجدُ الأنقى.

أنتَ لطاعةِ اللّهِ عنوانٌ، ولعبادتِهِ خيرُ مَنْ يكونُ ومَنْ كانَ، وأنتَ الأوَّلُ في المقرَّبين، وأنتَ سرٌّ أكبرُ للّهِ ربِّ العالمين.

خُوطبتَ بقولِ العليِّ الأعلى:

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ الحجر: ٩٧-٩٨.

فكنتَ الأسرعَ والأَوْلى.

ونُوديتَ بقولِ الحقِّ سبحانَهُ:

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ الحجر: ٩٩.

فاستجبتَ، وعبدتَ حقَّ العبادةِ.

ثُمَّ قلتَ:

(ما أُوحيَ إليَّ أنْ أجمعَ المالَ وأكونَ مِنَ التَّاجرين، ولكنْ أُوحيَ إليَّ

أَنْ سبِّحْ بحمدِ ربِّكَ وكنْ مِنَ السَّاجدين، واعبدْ ربَّكَ حتَّى يأتيَكَ اليقينُ) [1].

فأذَنْ لي يا سيِّدي أَنْ أحدِّثَ أُمَّتي اليومَ عن بعضِ ما كنتَ تفعلُهُ، إذ تتوجَّهُ بالعبادةِ إلى خالقِكَ وربِّكَ:

لقدْ قمتَ يوماً بلْ أيَّاماً تصلي حتَّى تورَّمَتْ قدماكَ وتفطَّرْت، فقالتِ لك السَّيدةُ عائشةُ: يارسولَ اللّهِ لِمَ تصنعُ هذا وقدْ غفرَ اللّهُ ما تقدَّمَ مِنْ ذنبِكَ وما تأخَّرَ ؟ فقلت: **(أفلا أكونُ عبداً شكوراً ؟)** [2].

وكنتَ يا أيُّها المختارُ، مَعَ كلِّ أعمالِكَ العظيمةِ، تصلِّي كلَّ يومٍ الضُّحى ثنتي عشرةَ ركعةٍ، فما أعظمَكَ عابداً [3] !

ودخلَ عليكَ مرةً حذيفةُ ﷺ فصلَّى مَعَكَ المغربَ، فبقيتَ تصلِّي إلى العشاءِ، فما أقواكَ فيما يُرضي اللّهَ [4] !

ويروي حذيفةُ ﷺ نفسُهُ فيقولُ:

صلَّيتُ مَعَ النَّبيِّ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم ذاتَ ليلةٍ فافتتحَ البقرةَ فقلتُ يركعُ عندَ المئةِ، ثُمَّ مضى فقلتُ: يصلِّي بها في ركعةٍ، فمضى،

---

[1] أخرجه السيوطي في "الدر المنثور": عند تفسير الآية، عن ابن مردويه والديلمي وغيرهما. وأخرجه أحمد بن حنبل في كتاب "الزهد"، الحديث ٢٣٥٥.

[2] أخرجه البخاري: كتاب التفسير، الحديث ٤٥٥٧.

[3] أخرجه الترمذي: كتاب الصلاة، الحديث ٤٧٣.

[4] أخرجه الترمذي: كتاب الجمعة، الحديث ٦٠٤.

فقلتُ: يركعُ بها، ثُمَّ افتتحَ آلَ عمرانَ فقرأَها، ثُمَّ افتتحَ النِّساءَ فقرأَها، يقرأُ مترسِّلاً، إذا مرَّ بآيةٍ فيها تسبيحٌ سبَّحَ، وإذا مرَّ بسؤالٍ سألَ، وإذا مرَّ بتعوذٍ تعوَّذَ، ثُمَّ ركعَ فجعلَ يقولُ: سبحانَ ربِّي العظيمِ، فكانَ ركوعُهُ نحواً مِنْ قيامِهِ، ثُمَّ قالَ: سمعَ اللّٰهُ لمنْ حمدَهُ، ثُمَّ قامَ طويلاً، قريباً ممَّا ركعَ، ثُمَّ سجدَ فقالَ سبحانَ ربِّي الأعلى، فكانَ سجودُهُ قريباً مِنْ قيامِهِ [٥].

وأمَّا ابنُ عباسٍ ﷺ، فكانَ يقولُ عنكَ، وينقلُ دعاءَكَ إذ تقومُ إلى الصَّلاةِ في جوفِ اللَّيلِ:

(اللَّهمَّ لكَ الحمدُ أنتَ نورُ السَّماواتِ والأرضِ ومَنْ فيهنَّ. أنتَ الحقُّ، ووعدُكَ الحقُّ، وقولُكَ الحقُّ، ولقاؤُكَ حقٌّ، والساعةُ حقٌّ. اللهمَّ لكَ أسلمتُ، وبكَ آمنتُ، وعليكَ توكّلتُ، وإليكَ أنبتُ، وبكَ خاصمتُ، وإليكَ حاكمتُ، فاغفرْ لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ، وما أسررتُ وما أعلنتُ. إلهي لا إلهَ إلا أنتَ) [٦].

نعمْ يا سيِّدي كنتَ تقولُ في سجودِكَ: **(اللهمَّ اغفرْ لي ذنبي كلَّهُ، دِقَّهُ وجُلَّهُ، أوَّلَهُ وآخرَهُ، وسرَّهُ وعلانيَتَهُ)** [٧].

فأنتَ واللّٰهِ خيرُ عبدٍ وعابدٍ، وأكرمُ راكعٍ وساجدٍ، تبتّلتَ ودعوتَ،

---

[٥] أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين، الحديث ٧٧٢.

[٦] متفق عليه. البخاري: كتاب الدعوات، الحديث ٥٩٥٨. ومسلم: كتاب صلاة المسافرين، الحديث ٧٦٩.

[٧] أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، الحديث ٤٨٣.

وببابِ ربِّكَ حاجاتِكَ أنزلتَ، فقلتَ:

(اللهمَّ إنِّي أُنزِلُ بكَ حاجتي، وإنْ قصرَ رأيي، وضعفَ عملي، وافتقرتُ إلى رحمتِكَ، فأسألُكَ يا قاضيَ الأمورِ، ويا شافيَ الصُّدورِ، كما تجيرُ مِنَ البحورِ، أنْ تجيرَني مِنْ عذابِ السَّعيرِ، ومِنْ دعوةِ الثُّبورِ، ومِنْ فتنةِ القبورِ. اللهمَّ يا ذا الحبلِ الشَّديدِ، والأمرِ الرَّشيدِ، أسألُكَ الأمنَ يومَ الوعيدِ، والجنَّةَ يومَ الخلودِ، مَعَ المقربينَ الشُّهودِ، الرُّكَّعِ السُّجودِ، الموفينَ بالعهودِ، إنَّكَ رحيمٌ ودودٌ، وإنَّكَ تفعلُ ما تريدُ) [٨].

بوركتَ يا سيِّدَ الكائناتِ من داعٍ ومستغفرٍ ومسبِّحٍ، أوَلستَ القائلَ: **(إنَّهُ ليغانُ على قلبي، وإنِّي لأستغفرُ اللّٰهَ في اليومِ مئةَ مرةٍ)** [٩] ؟

وأيضاً:

(اللهمَّ أنتَ ربِّي، لا إلهَ إلا أنتَ، خلقتَني وأنا عبدُكَ، وأنا على عهدِكَ ووعدِكَ ما استطعتُ، أعوذُ بكَ مِنْ شرِّ ما صنعتُ، أبوءُ لكَ بنعمتِكَ عليَّ، وأبوءُ بذنبي، فاغفرْ لي فإنَّهُ لا يغفرُ الذُّنوبَ إلا أنتَ) [١٠].

ثُمَّ وعدتَ أُمَّتَكَ أَنَّ مَنْ قالَ هذا الذي أسميتَهُ سيِّدَ الاستغفارِ موقناً، فماتَ قبلَ أن يُمسيَ فهو مِنْ أهلِ الجنَّةِ، ومَنْ قالَها في اللَّيلِ وهو موقنٌ بها، فماتَ قبلَ أنْ يصبحَ فهو مِنْ أهلِ الجنَّةِ.

وتابعتَ دعوتَك أُمَّتَكَ لتكثرَ الاستغفارَ، فإنَّهُ عونٌ على الحياةِ، وأنتَ

---

[٨] أخرجه الترمذي: كتاب الدعوات، الحديث ٦٠٤.

[٩] أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء، الحديث ٢٧٠٢.

[١٠] أخرجه البخاري: كتاب الدعوات، الحديث ٥٩٤٧.

ياسيِّدي تريدُ لأمَّتِكَ حياةً كلُّها عونٌ وأمانٌ:

(مَنْ لزمَ الاستغفارَ جعلَ اللّٰهُ لهُ مِنْ كلِّ همٍّ فرجاً، ومِنْ كلِّ ضيقٍ مخرجاً، ورزقَهُ مِنْ حيثُ لا يحتسبُ) [11].

أيُّها المختارُ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:

ها أنا ذا أختمُ هذهِ الرِّسالةَ قائلاً، ومعترفاً بأنَّكَ سيِّدُ المستغفرين، وسيِّدُ الأوَّابين، وسيِّدُ العابدين، وسيِّدُ سيِّدِ الدُّنيا.

يا روحَ رُوحي وروحَ النَّاسِ كلِّهم.

سلامٌ عليكَ في الأوَّلين، وسلامٌ عليكَ في الآخرين.

وسلامٌ عليكَ عندَ البعثِ، ويومَ الدِّين.

محمود

[11] أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، الحديث ١٥١٨. وابن ماجه: كتاب الأدب، الحديث ٣٨١٩.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

الرِّسالة التاسعة عشرة

سيِّدي:
أنت مَنْ تولى الله تعليمَك

أيُّها الحبيبُ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:

أنتَ مَنْ علَّمَكَ ربُّكَ، وأنتَ مَنْ تعلَّمتَ عن ربِّكَ، وإذا تولَّى اللّٰهُ تعليمَ إنسانٍ:

﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ النساء: ١١٣.

فما أشدَّ ما يعلمُ، وما أعظمَ علومَهُ التي استقرتْ في صدرِهِ النَّبيلِ الشريفِ!

سيِّدي رسولَ اللّٰهِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:

أنتَ في التَّكوينِ والأَسرارِ تفوقُ المجموعَ مَعاً؛ حوَى صدرُكَ أكثرَ ممَّا حوتْهُ كلُّ الصُّدورِ، ولو نُثرَ ما في صدرِكَ على السُّطورِ لما بقيَ لسواكَ من سطورٍ. يحدِّثنا عمرُ بنُ الخطَّابِ ﷺ عنكَ فيقولُ: **(قامَ فينا رسولُ اللّٰهِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم فأخبرَنا عن بَدءِ الخلقِ، حتَّى دخلَ أهلُ الجنَّةِ منازلَهم، وأهلُ النَّارِ منازلَهم، حَفِظَ ذلكَ مَنْ حفظَ، ونسيَهُ مَنْ نسيَهُ)** [1].

---

[1] أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، الحديث ٣٠٢٠.

ويروي لنا حذيفةُ بنُ اليمانِ ﷺ أيضاً فيقولُ: **(لقدْ خطَبنا النَّبيُّ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم خُطبةً ما تركَ فيها شيئاً إلى قيامِ السَّاعةِ إلا ذكرَهَ. علمَهَ مَنْ علمَهَ، وجهلَهَ مَنْ جهلَهَ. إنْ كنتُ لأرى الشَّيءَ قد نسيتُهُ فأراه فأذكُرُهُ، كما يذكرُ الرَّجلُ وجهَ الرَّجلِ إذا غابَ عنهُ ثُمَّ إذا رآهُ عرفَهَ)** [٢].

حقاً يا سيِّدي:

فإنَّ علمَ رسولِ اللّٰهِ ليسَ لهُ حدٌ فيعربَ عنهُ ناطقٌ بفمِ

ويتابعُ حذيفةُ روايتَهَ عنك؛ عمَّا حدَّثتَهم بهِ فأذهلتَهم، يقولُ: **(واللّٰهِ ما أدري أَنسيَ أصحابُ رسولِ اللّٰه صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم أم تناسَوْا ؟ واللّٰهِ ما تركَ رسولُ اللّٰهِ مِنْ قائدِ فتنةٍ إلى أنْ تنقضيَ الدُّنيا، يبلغُ من مَعَه ثلاثمئةَ فصاعداً إلا سمَّاهُ لنا رسولُ اللّٰهِ باسمِهِ واسمِ أبيهِ واسمِ قبيلتِهِ)** [٣].

ألا فليفخرِ المسلمونَ بكَ، ولتفخرِ الإنسانيةُ بكَ يا قائدَ الجميعِ ويا سيِّدَ الجموعِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم.

لقدْ حدَّثنا أبو زيدٍ الأَنصاريِّ ﷺ فقالَ: **(صلَّى بنا رسولُ اللّٰهِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم الصبحَ، ثُمَّ صعِدَ المنبرَ، فخطبَنا حتَّى حضرتِ الظُّهرُ، ثُمَّ نزلَ فصلَّى الظُّهرَ، ثُمَّ صعدَ المنبرَ فخطبَنا حتَّى حضرتِ العصرُ، ثُمَّ نزلَ فصلَّى العصرَ، ثُمَّ صعدَ المنبرَ، فخطبَنا حتَّى غابتِ الشَّمسُ، فحدَّثنا بما كانَ وبما هو كائنٌ، فأعلَمُنا أحفظُنا)** [٤].

---

[٢] أخرجه البخاري: كتاب القدر، الحديث ٦٢٣٠.

[٣] أخرجه أبو داود: كتاب الفتن، الحديث ٤٢٤٣.

[٤] أخرجه مسلم: كتاب الفتن، الحديث ٢٨٩٢.

ولمْ يكنْ أبو زيدٍ وحدَهُ هو مَنْ سمعَ، وإنَّما انضمَّ إليهِ أيضاً كثيرونَ، وهذا آخرُ يحدِّثُنا، وهو أبو سعيدٍ الخدريِّ ﷺ يقولُ: (**صلَّى بنا رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّه عليه وآله وسلَّم صلاةَ العصرِ، ثُمَّ قامَ خطيباً بعدَ العصرِ إلى مغربِ الشَّمسِ. حفظَها مَنْ حفظَها، ونسيَها مَنْ نسيَها، وأخبرَ فيها بما هو كائنٌ إلى يومِ القيامةِ**) [٥].

سبحانَ مَنْ علَّمَكَ، يا أيُّها المصطفى!

وجلَّ مَنْ أَكرمَكَ يا أيُّها المجتبى!

ويتابعُ مَنْ حضرَ ليحكيَ بعضاً مِنْ قصةِ علمِكَ العظيمَ، يا أيُّها العظيمُ؛ يقولُ المغيرةُ بنُ شعبةَ: (**قامَ فينا رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّه عليه وآله وسلَّم مقاماً فأخبرَنا بما يكونُ في أُمَّتِهِ إلى يومِ القيامةِ، وعاهُ مَنْ وعاهُ، ونسيَهُ مَنْ نسيَهُ**) [٦].

وأمَّا أبو ذرٍ ﷺ فيقولُ: (**لقدْ تركَنَا رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّه عليه وآله وسلَّم وما يحرِّكُ طائرٌ جناحيْهِ في السَّماءِ إلا ذكرَ لنا منهُ علماً**) [٧].

عِلْمُكُ يا سيِّدي أحكامٌ وأخبارٌ ومبادىءُ ومُثُلٌ وقصصٌ وتجاربُ وأنباءٌ واكتشافاتٌ وسننٌ وأحوالٌ، فَأْذَنْ لي يا سيِّدي أنْ أذكرَ هنا خبراً حدَّثتَ بهِ النَّاسَ، يرويه عنكَ حذيفةُ ﷺ: (**لتقصدنَّكمْ نارٌ هي اليومَ خامدةٌ، في وادٍ يُقالُ لهُ: برهوتُ بحضرموت تغشى النَّاسَ، فيها**

---

[٥] أخرجه أحمد: الحديث ١١٥٢٤، ١٩١/١٠.

[٦] أخرجه أحمد: الحديث ١٨١٤٠، ١٠٨/١٤.

[٧] أخرجه أحمد: الحديث ٢١٢٥٨، ٥٠٣/١٥.

عذابٌ أليمٌ، تدورُ الدُّنيا كلَّها في ثمانيةِ أيَّامٍ، تطيرُ طيرَ الرِّيحِ والسَّحاب، حرُّها باللَّيل أشدُّ مِنْ حرِّها بالنَّهار، ولها بينَ السَّماءِ والأرضِ دويٌّ كدويِّ الرَّعدِ القاصفِ، هي مِنْ رؤوسِ الخلائقِ أدنى مِنْ العرشِ). قيلَ: يا رسولَ اللّهِ، أسليمةٌ يومئذٍ على المؤمنينَ والمؤمناتِ ؟ قالَ: **(فأينَ المؤمنونَ والمؤمناتُ ؟! هم يومئذٍ شرٌّ مِنْ الحُمُرِ، يتسَافدونَ كما يتسافدُ البهائمُ، وليسَ فيهم رجلٌ يقولُ: مهْ.. مهْ)** [٨].

فيا لعظمةِ الأخبارِ تُنقلُ صحيحةً عنكَ، ويا لروعةِ الأخلاقِ تُحكى عنكَ، ويا لدقَّةِ العلومِ يفصِّلُها الاختصاصيون في نقلِها عن لسانِكَ الطاهرِ !

سيِّدي صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم:

لا أحيطُ ببعضِ ما لديكَ، مهما كبرتُ، ولا أستطيعُ حكايةَ شيءٍ ممَّا عندَكَ بمثلِ ما هو عندَكَ؛ ولكنْ حسبي أنَّكَ معلمي وقائدي وسيِّدي، فإنْ لَزمَني أمرٌ سألتُكَ:

﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ النحل: ٤٣.

وأنتَ حقاً سيِّدُ أهلِ الذِّكرِ على الإطلاقِ، يا حبيبَ الخلاّقِ؛ وأدامني اللّهُ لكَ خادماً، وأدامَكَ عليَّ سيِّداً.

سلَّمتُكُمْ رُوحي نَعَمْ هي مِلكُكُمْ وبملكِكُمْ طُولَ الزَّمانِ تَحكَّموا

محمود

---

[٨] أخرجه أبو نعيم في "حلية الأولياء"، الحديث ٧٠٦٨.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

الرِّسالة العشرون

سيِّدي:

نواليك وننتمي إليك

سيِّدي أبا الزَّهراءِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:

يحلو لبعضِ النَّاسِ أنْ يزيِّنوا لشبابِنا اللاانتماءَ واللاالتزامَ، مدَّعينَ أنَّ الانتماءَ والالتزامَ علامةُ تأخُّرٍ، ودليلُ وضعٍ مرفوضٍ لا يتناسبُ والقرنَ العشرين، ذلك أنَّهم - حالَ الظَّنِ بهم أنَّهم يجهلونَ الإسلامَ - لمْ يجدوا انتماءً يتكاملُ بهِ الإنسانُ، والتزاماً ينمو بهِ أيضاً ذلكَ المخلوقُ العجيبُ المميَّزُ.

وإن افترضنَا أنَّهم مطَّلعونَ على ما جاءَ بهِ الإسلامُ قلنا:

إنَّهم عرَفوا فجَحدوا واستيقنَتْها أنفسُهم، وعاندوا مكابرين؛ ثُمَّ شوَّهوا وروَّجوا، فهمْ لا يبغونَ لمكانِهمْ تغييراً، ولا لخاصَّةِ مصالِحهم تبديلاً.

وبقاءُ ما كانَ على ما كانَ، في وضعٍ أُدرِكَ غلطُهُ، أمرٌ يريدُهُ المتسلِّطُ، ولا يستطيعُ تحويلَهُ المقهورُ.

سيِّدي:

في ذكرى مولدِكَ ننادي:

الانتماءُ تحقيقٌ للوجودِ، والالتزامُ تعبيرٌ عنهُ، وليسَ الأمرُ على إطلاقِهِ،

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

ما لم يكنِ العقلُ دليلاً، وحبْلُ السَّماءِ مَعَ الإنسانِ موصولاً، وهانحنُ أولاءِ نقدِّمُ عباراتِنا في ذلك:

- اللّهُ قصدُنا، وإنَّا منهُ وإليهِ راجعون.

- والرَّسولُ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم أسوتُنا. ونحنُ بانتسابِنَا إليهِ، وباتِّباعِنا له معروفون.

- القرآنُ شِرعتُنا ومنهاجُنا، وبهَدْيهِ العظيمِ ملتزمون.

- الذِّكرُ غذاؤنا، وبهِ للسِّلوكِ والعاطفةِ مُدعِّمون.

- الموتُ على الإيمانِ بُغيتُنا، وإنَّا إلى الدَّيانِ يومَ القيامةِ ماضون.

اللّهُ قصدُنا:

لأنَّ القرآنَ الكريمَ الذي بلّغتَنا إيَّاهُ يقولُ:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ الأنعام: ١٦٢-١٦٣.

ويقول:

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ الانشقاق: ٦.

والرَّسول صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم أسوتنا:

لأنَّكَ الأكملُ في الخُلُقِ والخَلْقِ، أَوَلستَ الأعبدَ والأعقلَ والأجملَ والأشجعَ والأحلمَ والأزهدَ والألطفَ ؟!

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

وقدْ ذكرْنا دلائلَ مِنْ قبلُ على هذا يا سيِّدَ الكائناتِ في رسائلَ سابقةٍ.

القرآنُ شِرعتُنا:

لأنَّكَ بلَّغتَنا قولَ ربِّكَ في القرآنِ نفسِه:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمًا﴾ الكهف: ١-٢.

وكذلكَ قولَ اللّٰهِ تعالى فيه:

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ الفرقان: ١.

وأيضاً قولَهُ تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ المائدة: ١٥-١٦.

الذِّكرُ غذاؤنا:

لأنَّكَ يا سيِّدي نقلتَ لنا عنْ ربِّكَ جلَّ شأنُهُ قولَهُ:

﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ البقرة: ١٥٢.

وأوصلتَ إلينا أمرَهُ لنا:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ الأحزاب: ٤١.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

الموت على الإيمان بُغيتنا كذلك:

لأنَّكَ أُوحيَ إليكَ قولُ اللّٰه تعالى شأنُهُ:

﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ آل عمران: ١٠٢.

ولأنَّ الأنبياءَ جميعاً عليهم السَّلام تواصَوا بذلك:

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ البقرة: ١٣٢.

الرَّسول صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم أسوتنا.

نَعمْ وربِّ الكعبةِ، ولَنِعمَ الأسوةُ أنتَ، يا سيِّدَ السَّاداتِ:

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ التوبة: ١٢٨.

فما أعظمَ تعظيمَ اللّٰهِ لك!

نعم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم: ٤.

نعم: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ الضحى: ٥.

نعم: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ الأحزاب: ٢١.

نعم، وألفُ نعم:

يا أيُّها الرَّحمةُ المهداةُ، يا نبيَّ الرَّحمةِ، يا نبيَّ الملحمةِ، يا خاتمَ الرُّسلِ، يا عظيمَ الأممِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم.

نعم:

يا ركنَ مُعتَمِدٍ وعصمةَ لائذٍ ... وملاذَ مُمتَنعٍ و جارَ مجاوِرِ
يا مَنْ تخيّرَهُ الإلـهُ لخَـلقِهِ ... وحَبَاهُ بالخُلقِ الزَّكيِّ الطَّاهرِ
أنتَ النَّبيُّ وخيرُ عُصبةِ آدم ... يا مَنْ يجودُ كفيضِ بحرٍ زاخرِ
ميكالُ مَعْكَ وجبرئيلُ كلاهُما ... مَددٌ لنَصرِكَ مِنْ عزيزٍ قادرِ

الرَّسولُ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم عزُّنا؛
الرَّسولُ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم فَخْرُنا؛
الرَّسولُ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم قائدُنا؛
الرَّسولُ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم حَبيبُنا؛
الرَّسولُ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم شفيعُنا؛
الرَّسولُ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم سيِّدُنا ومولانا؛
الرَّسولُ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم هادينا.

فلكَ أيُّها الرَّسولُ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم، كلُّ ما لنا وما فينا.

محمود

الرِّسالة الحادية والعشرون

سيِّدي:

هذا عطاءُ الله بلا حدود، وهذا عطاؤك منه ممدود

سيِّدي صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:

ما أجملَ الحُبَّ رابطةً تجمعُ الإنسانَ بالإنسانِ، في أيِّ مستوىً وموقعٍ كانَ هذا الإنسانُ أو ذاك، بلْ وأجَمِلْ بهِ وشيجةً بينَ كلِّ ذراتِ الأكوانِ!

وما أروعَهُ مِنْ اقتباسٍ!

إذ الحُبُّ يشكِّلُ أسَّ العلاقةِ القائمةِ بينَ العبدِ والدَّيانِ، وحينَ تستقرُ المعادلةُ في الاشتقاقِ على أنَّ العبدَ هو المحبُّ وأنَّ اللّٰهَ هو المحبوبُ، فعلى العبدِ أنْ يعلمَ بأنَّهُ مسبوقٌ بمعادلةٍ كانَ فيها هو المحبوبَ، وكانَ اللّٰهُ المحبَّ، ولولا ذلكَ لما تميَّزَ الإنسانُ واصطُفيَ وسُوِّيَ وعُدِل.

وإذا كنتَ يا سيِّدي سيِّدَ مَنْ يتخلقُ بأخلاقِ اللّٰهِ، وكنتَ في المعادلةِ الأخيرةِ محبوباً، وكنَّا محبِّينَ، فَلْنُدركْ أنَّكَ الأسبقُ في حُبِّكَ لنا أولاً، ومحبَّتُكَ هي التي نشَّطتْ حبَّاً لك فينا.

ومَنِ استقرَّ في النِّهايةِ محبوباً فخُلقُهُ العطاءُ، إذ هو مظهرُ تجلِّي المحبوبيةِ، أمَّا مَنْ كانَ مُحبَّاً فعليه الوفاءُ، وهو مَظهرُ تجلِّي المحبِّيَّة.

فعطاؤكَ يا سيِّدي للإنسانِ كبيرٌ وعظيمٌ لكلِّ الإنسانِ ولكلِّ النَّاسِ.

للإنسانِ عقلاً:

إذ وجَّهتَهُ في مسارِهِ الصَّحيحِ الثَّابتِ المناسبِ الملائمِ، فما أَمرتَ سيِّدي بأمرٍ قالَ العقلُ ليتَهُ نهى عنهُ، ولا نَهيتَ عن شيءٍ قالَ العقلُ ليتَهُ أمرَ بهِ.

وللإنسانِ قلباً:

إذ ملأتَهُ إيماناً بخالقِهِ فاستقرَّ، ودعوتَهُ إلى الذِّكرِ ليطمئنَّ، وناديتَهُ إلى حُبِّ الخيرِ ليكونَ الأوعى.

وللإنسانِ جسماً:

إذ دعوتَ إلى العنايةِ بهِ، ليكونَ قوياً يَحملُ المعانيَ القويةَ.

فيا سيِّدي صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:

تفصيلُ عطائِكَ للإنسانِ يستلزمُ منَّا كتباً ومجلداتٍ، ولكنِّي أحيلُ بني قومي وأُمَّتي إلى سيرتِكَ ليقرؤوها، ويتدبَّروها، ويعرفوها، ويُقرِئوها، ويُعرِّفوا بها، ويقدِّموها إلى الإنسانِ في كلِّ مكانٍ وزمانٍ.

ما كنتُ يا سيِّدي مبالغاً، والمبالغةُ فيكَ تقصيرٌ، وهلْ يُحيطُ الصَّغيرُ بالكبيرِ، وهل يُدركُ القاصرُ الكاملَ ؟

أعطيتَ ووفيَّتَ، وأديَّتَ وتكرَّمتَ، وما مِنْ إنسانٍ عاقلٍ إلا ويعلمُ أنَّكَ أعطيتَ، وعطاؤكَ خيرٌ كلُّهُ، وغيرُ منقطعٍ بعدَ انتقالِكَ، فمَنْ صلَّى عليكَ فاللّٰهُ راحمُهُ، ومَنْ ائتَّسَى بكَ فاللّٰهُ مُعزّهُ، فحياتُكَ خيرٌ لنا،

ومماتُكَ خيرٌ لنا؛ تُعرضُ أعمالُنَا عليكَ، فإنْ وجدتَ خيراً حَمِدَّتَ اللّٰهَ، وإنْ وجدتَ غيرَ ذلكَ استغفرتَ اللّٰهَ لنا.

تمَّمتَ الأخلاقَ، وكنتَ مُجسِّدَها الأمثلَ، ورعيتَ الدُّنيا، وأردتَها قسيمةَ الآخرةِ الرَّضيَّةِ.

سيِّدي صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:

أمَّا في الآخرةِ فعطاؤكَ مستمرٌ ومتابَعٌ، ويأتي في رأسِ الصَّفحةِ الشَّفاعةُ، فالشفاعةُ عطاءٌ مِنْ عطاءٍ، وأكرمْ بهِ مِنْ عطاءٍ يا سيَّدَ الأولياءِ.

لقدْ قلتَ حسبَ ما روى عنكَ أصحابُكَ، وسجَّلَهُ علماءُ مِنْ أُمَّتِكَ:

(يوضعُ للأنبياءِ منابرُ يجلسونَ عليها، ويبقى منبري لا أجلسُ عليهِ، قائماً بين يدَيْ ربِّيْ منتصباً، فيقولُ اللّٰهُ تباركَ وتعالى: ما تريدُ أنْ أصنعَ بأُمَّتكَ ؟ فأقولُ: يا ربّ عجِّلْ حسابَهُمْ. فيُدعى بهمْ فيُحاسبونَ؛ فمنهمْ مَنْ يدخل الجنَّةَ برحمَتِهِ، ومنهمْ مَنْ يدخل الجنَّةَ بشفاعتي، ولا أزالُ أشفعُ، حتَّى إنَّ خازنَ النَّارِ ليقولُ: يا مُحَمَّدُ ما تركتَ لغضبِ ربِّكَ في أُمّتِكَ مِنْ نقمةٍ) [1].

وقلتَ: **(خُيِّرتُ بينَ أنْ يَدخلَ نصفُ أُمَّتي الجنَّةَ وبينَ الشَّفاعةِ، فاخترتُ الشَّفاعةَ، لأنَّها أعمُّ وأكفى. أترونَها للمتَّقين ؟! ولكنَّها للمذنبينَ الخطَّائين المتلوِّثين)** [2].

---

[1] أخرجه الحاكم: الحديث ٢٠٢. والطبراني في المعجم الكبير، الحديث ١٠٥٧٣.

[2] أخرجه ابن ماجه: كتاب الزهد، الحديث ٥٣٣٧.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

سيِّدي صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:

ونحنُ لعطائِكَ شاكرون، ونعاهدُكَ على أنْ نكونَ الأوفياءَ المضحِّينَ، فصَدْرُنا دون صدرِكَ، ونُحورُنا دونَ نحرِكَ، كما قال أبو طلحة ﷺ: واللّٰهِ ما نحبُّ لو أنَّا في بيوتِنا آمنونَ، وأنَّكَ تُشاكُ بشوكةٍ.

فدىً لرسولِ اللّٰهِ أمي وخالتي وعمِّي وخالي ثُمَّ نفسي ومماليا

كما قالت السَّيدةُ صفيَّة رضي اللّٰهُ عنها.

أدامَ اللّٰهُ عطاءَكَ يا خيرَ مَنْ أعطى بعدَ اللّٰهِ، وأدامَنا لكَ سيِّدي على أبوابِكَ وأعتابِكَ خَدماً لنعالِكَ.

سرْنَا على شططِ النَّوى بجمالِكم ولنا قلوبٌ تحتَ ظلِّ نعالِكُمْ

كما قال الروَّاسُ.

وإنَّكَ يا رسولَ اللّٰهِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم على العينِ والرَّأسِ.

محمود

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

الرِّسالة الثانية والعشرون

سيِّدي:

البشارة فيك وبك سابقة،

معجزة الله لك مؤيِّدة، ونصرُ الله لك داعم

سيِّدي أبا الزَّهراءَ، يا سيِّدَ الخَلقِ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم:

هلْ لي أنْ أحكيَ عنكَ صفاتٍ حاضرةً، وبشاراتٍ سابقةً، ومعجزاتٍ مؤيدةً، ونصراً مِنَ اللّهِ داعماً ؟

هلْ لي أنْ أقصَّ عنكَ حولَ هذهِ الأمورِ، والقَصَصُ عنكَ صدقٌ وحقٌّ وعدلٌ ووفاءٌ ؟ ... إذاً فلأبدأ:

أمَّا الصِّفاتُ الحاضرةُ:

فكثيرةٌ غزيرةٌ عظيمةٌ، لكنَّني هنا **أسجِّلُ منها الصدقَ**، الذي وُسمتَ بهِ وتخلَّقتَ بهِ، ونُوديتَ بهِ مِنْ قِبَلِ مَنْ آمنَ ومَنْ لمْ يؤمنْ، وها هم أولاء جميعاً لحظةَ البلاغِ الأولى يُقرُّونَ، وكانَ ذلك يومَ وقفتَ على الصَّفا وقلتَ: (**أرأيتُكمْ لو أخبرتُكمْ أنَّ خيلاً بالوادي تريدُ أن تُغيرَ عليكُمْ، أكنتمْ مصدّقيَّ ؟**). قالوا: ما جرَّبنا عليكَ كذباً. عندَها قلتَ: (**فإنّي نذيرٌ لكم بين يَدَيْ عذاب شديد**) [1].

---

[1] متفق عليه. البخاري: كتاب التفسير، الحديث ٤٤٩٢. ومسلم: كتاب الإيمان، الحديث ٢٠٨.

أجلْ، ما جَرَّبَ عليكَ أحدٌ كذباً، وحاشاكَ، فالصادقُ المصدوقُ أنتَ. ثُمَّ إنَّ أبا جهلٍ نفسَهُ قالَ مرةً: إنَّا لا نُكذِّبُكَ، ولكنْ نُكَذِّبُ ما جئتَ به، فأنزل اللّٰه تعالى [٢]:

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ الأنعام: ٣٣.

وبعدَ الصِّدقِ يا سيِّدي، **أُسجِّلُ تحمُّلَكَ** وقيامَكَ بأعباءِ الدَّعوةِ؛ فهاهم المجرمونَ السَّبْعةُ، منهم أبو جهلٍ وعتبةُ وشيبةُ وعقبةُ، كانوا سبعةً في الحِجْرِ، كما تقولُ الروايةُ، فقالَ قائلُهم: أيُّكم يأتي جَزورَ بني فلانٍ فيأتِيَنا بفَرثِها فيكفَأَهُ على مُحَمَّدٍ (صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم) ؟

فانطلقَ عقبةُ ففعلَ. وأقبلتْ فاطمةُ عليها السَّلام ورفعتْه عن عاتقِك، وكنتَ يا سيِّدي تصلِّي، فلمَّا قضيتَ صلاتَكَ لمْ تزدْ على أنْ قلتَ: (**عليكَ بقريشٍ، عليكَ بعتبةَ وعقبةَ وأبي جهلٍ وشيبةَ**) [٣].

ولسانُ حالِكَ يقولُ لربِّكَ: اللهمَّ إنْ لمْ يكنْ بكَ عليَّ غضبٌ أو سخطٌ فلا أُبالي !

صدقتَ يا سيِّدي وتحمَّلتَ ودعوتَ، وكانَ نتيجةُ ذلكَ نصراً مِنَ اللّٰهِ وفتحاً، فلكَ منَّا الشُّكرُ العظيمُ على ما بلَّغتَ وما أدَّيتَ، وإنَّا لشاهدونَ

---

[٢] أخرجه الترمذي: كتاب التفسير، الحديث ٣٠٦٤.

[٣] متفق عليه. البخاري: كتاب الوضوء، الحديث ٢٣٧. ومسلم: كتاب الجهاد، الحديث ١٧٩٤.

على تبليغِكَ الرِّسالة، وأدائكَ الأمانة.

وأمَّا البشاراتُ السابقةُ:

والتَّوراة شاهدةٌ والإنجيلُ مصدِّقٌ والسامافيدا مُقِرَّةٌ والزنداأفستا معترفةٌ.

أمَّا التوراةُ، فقدْ جاءَ في سفرِ التَّكوينِ منها: (*جاءَ الرَّبُ مِنْ سَيْناء، وأَشرقَ لنا مِنْ ساعير، وتلالأَ مِنْ جبل فارانَ*)، وفارانُ اسمُ مكةَ القديم.

وأمَّا الإنجيلُ، فهذا ما جاءَ في يوحنا: (*متى جاءَ ذاك روحُ الحقِّ فهو يرشدُكُمْ إلى جميعِ الحقِّ، وهو لا يتكلمُ من نفسِهِ*).

وأمَّا السامافيدا الذي هو مَوْثِقُ الهندوسِ فقدْ جاءَ فيه: (*أحمدُ تلقَّى الشَّريعةَ مِنْ ربِّهِ وهيَ مملوءةٌ بالحكمةِ*).

وأمَّا الزندا أفستا، والذي يتَّخذُهُ المجوسُ لهم كتاباً، فيقولُ: (*إنَّ اللَّهَ سيبعثُ رسولاً هذا وصفُهُ: رحمةٌ للعالمين، ويتصدى له عدو اسمُهُ أبو لهبٍ، ويدعو إلى اللَّهِ الواحدِ*).

وأمَّا المعجزاتُ المؤيِّدةُ:

فحدِّثوا عنها يا بني قومي ولا حَرجَ:

لقدْ نبعَ الماءُ مِنْ أصابعِكَ، فقدْ أُوتيتَ يا سيِّدي يا رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّه عليه وآله وسلَّم بإناءٍ، وأنتَ بالزَّوراءِ، فوضعتَ يدَكَ في الأناءِ، فجعلَ الماءُ ينبعُ مِنْ بينِ أصابعِكَ، فتوضأَ القومُ، وقالَ قتادةُ لأَنسٍ: كمْ

كنتمْ ؟ قالَ: ثلاثمئةٍ. وحنَّ الجذعُ إليكَ، ورأى ذلكَ كثيرون، وما أَظنُّني بحاجةٍ إلى إعادةِ ذكرِ ذلكَ تفصيلاً.

وأخبرتَ عن الغيبِ، فقدْ حدَّثْتَ الفرسَ واليمنيين بأنَّ اللّٰهَ قتلَ ملكَ الفرسِ انتقاماً لرسولِهِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم، وحدَّدتَ لهم الليلةَ التي قُتلَ فيها كسرى، وكان هذا سبباً لإسلامِ شعبِ اليمنِ والفرسِ الذين كانوا في اليمنِ. وسبَّحَ الطَّعامُ بين يديكَ وانشقَ لكَ القمرُ، و...، و...، ولا يعلمُ معجزاتِكَ كلَّها إلا مَنْ أمدَّكَ وأعطاكَ وأرسلكَ. فتباركَ اللّٰهُ وصلَّى عليكَ وسلَّمَ.

وأمَّا النصرُ:

فلقدْ خُضتَ يا أيُّها المجاهدُ الأعظمُ غزواتٍ كثيرةً، نصرَكَ اللّٰهُ فيها، وجعلَ الغلبةَ لكَ، وحديثُنا عن النَّصرِ حديثٌ عن الحقِّ إذ يعلو، والخيرِ إذ يسمو، والفضيلةِ إذ تسودُ، والأمانةِ إذ تنتشرُ؛ حديثٌ عن الإيمانِ يظهرُ، والحقيقةِ تنجلي، وقدْ كانَ كلُّ ذلك بفضلِ اللّٰهِ عليكَ:

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾

سورة النصر.

عليكَ السلامُ، يا خيرَ الأنامِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم.

محمود

الرِّسالة الثالثة والعشرون

تعرُّف وتشرُّف

أيُّها المبعوثُ رحمةً للعالمين صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:

ها أنا ذا أسعَى إلى تقديمِ بطاقةِ تعريفٍ، ولكنِّي أدركُ يا سيِّدي أنَّ في تعريفي بكَ تعريفاً بي، فأنا نكرةٌ لا تقبلُ التَّعريفَ في عالَمِ الإنسانِ إلا بالإضافةِ إليكَ، وأنا أُعرِّفُ لأُعْرَفَ.

ما إنْ مدحتُ محمَّداً بمقالتي لكنْ مدحتُ مقالتي بمُحَمَّد

هكذا قالَ حسَّانُ الشِّعرِ، ومِنْ بابٍ أولى أنْ يقولَها المحمودُ بكَ، وكذلكَ يتابعُ فيرجو:

لا تهجروني فإنِّي قدْ عُرِفتُ بكمْ وصِرتُ بين الورى أُدعى بعبدكم

ولنْ تنسى الذَّاكرةُ، يا رحمةَ العالمين صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم، قصةَ سفينةَ، هذا الرَّجلُ الذي عرَّفَ نفسَهُ بكمْ، فعرفتْهُ المخلوقاتُ!

يقولُ سفينة ﷺ:

ركبتُ البحرَ فانكسرتْ سفينتي التي كنتُ فيها، فركبتُ لوحاً مِنْ ألواحِهَا، فطرحني اللَّوحُ في أجَمةٍ فيها الأَسَدُ، فأقبلَ إليَّ يريدُني، فقلتُ: يا أبا الحارثِ، أنا مولى رسولِ اللّٰهِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم؛ فطأطأَ رأسَهُ، وأقبلَ إليَّ فدفعني بمنكبِهِ حتَّى أخرجني مِنَ الأجمةِ،

ووضعني على الطَّريقِ [1].

نعمْ لقدْ عُرِفَ سفينةُ أمامَ المخلوقاتِ بكمْ، فكرَّمَتْهُ، وحقَّاً فما مِنْ شيءٍ في السَّمواتِ والأرضِ إلا يشهدُ أنَّكَ رسولُ اللّهِ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم، إلا عاصيَ الجنِّ والإنسِ.

وهذا التعرُّفِ الذي أَدَّى إلى تعريفٍ، فقدْ ساقني أيضاً سوقاً أحمَدَ إلى ساحِ التَّشريفِ، وها أنا ذا أَشرُفُ إذ عُرِفتُ بكمْ، وكيفَ لا ؟ وقدْ شرُفتْ بكَ، سيِّدي، السَّماواتُ والأرضونَ، لأنَّكَ الخيرُ بينَ المخلوقاتِ على إطلاقِها.

أَوَلستَ القائلَ:

(إنَّ اللّهَ خلقَ الخَلقَ فجعلني في خِيرةِ خلقِهِ، وجعلَهم فرقتين فجعلني في خيرِ فرقةٍ، وخلقَ القبائلَ فجعلني في خيرِ قبيلةٍ، وجعلَهم بيوتاً فجعلني مِنْ خيرِهم بيتاً، فأنا خيرُكمْ بيتاً، وخيركم نَفْساً) [2].

أجلْ يا سيِّدي، يُشَرِّفُني أَنْ أعرفَكَ، وكلُّ شرفٍ أحوزُهُ إذ تعرفني، وكلِّي سعادةٌ وسرورٌ حينَ تشفعُ لي، يا أكرمَ شافعٍ، جُدْ برضاكَ، ليهنأَ قلبي بطيبِ لقاكَ وعطاكَ.

وإذا سألتُكَ أنْ أراكَ حقيقةً فاسمحْ ولا تجعلْ جوابيَ لنْ ترى [3]

---

[1] أخرجه الحاكم، الحديث ٦٥٩١. والطبراني في المعجم الكبير، الحديث ٦٣٠٥.

[2] أخرجه أحمد: الحديث ١٧٨٨، ٤٤٩/١.

[3] البيت لعمر بن الفارض رحمه اللّه.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

أيُّها الأعظمُ بينَ الخلائقِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:

قلبي يَسعدُ بحبِّكَ، وعقلي يَغنى بقُربِكَ، وجسمي ينشطُ بنظرةٍ منكَ، وأنا هنا وهناك صاحبُ قلبٍ وعقلٍ وجسمٍ مبتهجٍ.

وحقِّ مَنْ أرسلَكَ. أتشرَّفُ إذ أعرفُكَ وأُحبُّكَ وأتَّبعُكَ، وتشرِّفُني وتمنحُني مالا أستحقُ حينَ تذكرُني وتعرفُني، والفضلُ في كلِّ المعادلاتِ لكَ وإليكَ.

وممَّا زادني شـــرفاً وعـزاً وكدتُ بأخمصي أطأُ الثُّريا
دخولي تحتَ قولِكَ يا عبادي وأنْ صيَّرتَ أحمدَ لي نبياً

فاشفعْ لي يا سيِّدَ الشُفعاءِ.

سيِّدي صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:

عنوانُ بطاقتي ورسالَتي هذه: تعرُّفٌ وتشرُّفٌ.

أسألُ ربِّي أنْ يزيدني شرفاً بكَ، ومعرفةً أنالُها بالانتسابِ إليك... يا سيِّدَ السَّاداتِ، يا رسولَ اللّٰهِ إلى العالمين.

يا روحَ حقيقةِ الأولياءِ والصَّالحين، صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم.

محمود

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

الرِّسالة الرابعة والعشرون

سيِّدي:
كلُّ شيءٌ في الكون لك يشهد
أنَّك الرَّسول الحقُّ

أيُّها الحبيبُ العظيمُ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:

كلُّ عاقلٍ يشهدُ أنَّكَ رسولُ اللّٰه، وكلُّ أحمقَ ربَّما يستنكفُ، لكنَّكَ للعقلاءِ أُرسلتَ، فحسبُكَ اللّٰهُ ومَنْ اتَّبعَكَ مِنَ المؤمنين.

وليعلم عاصي الإنسِ والجنِّ الذي يرفضُ ولا يُقرُّ، أنَّ الجماداتِ شهدتْ، شجراً وحجراً وخشباً وجبلاً...

فما بالُهُ تخلَّفَ وسبَقَتْهُ، وتراجعَ وتقدَّمَتْ عليه ؟!

عن عبد اللّٰه بن عمر رضي الله عنه قالَ:

كنَّا في سفرٍ فدنا أعرابيٌّ مِنَ النَّبيِّ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم فقالَ: يا مُحَمَّدُ مَنْ يشهدُ لكَ بأنَّكَ رسولُ اللّٰهِ ؟ فأشارَ النَّبيُّ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم إلى شجرةٍ، وقال صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم: (**هذه**). فأقبلتِ الشجرةُ تخدُّ الأرضَ، حتَّى قامتْ بينَ يديهِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم، فشهدتْ [1].

---

[1] أخرجه الدارمي: المقدمة، الحديث ١٦.

وكذلكَ الجذعُ، كما روى أصحابُ الكتبِ الصَّحيحةِ، فقدْ سُمعَ له صوتٌ كصوتِ العِشارِ، وارتجَّ المسجدُ إلى أنْ جاءَ النَّبيُّ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم فوضعَ يدَهُ عليهِ، فسكتَ، وقالَ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم: **(والذي نفسي بيدِه لو لمْ ألتزمْهُ لمْ يزلْ هكذا إلى يومِ القيامة)** [٢].

لقدْ قالَ الحسنُ يوماً: الخشبةُ تحنُّ شوقاً إلى رسولِ اللّٰهِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم لمكانِهِ، فأنتمْ أحقُّ أنْ تشتاقوا إلى لقائِهِ.

ويروي السيد الإمام علي عليه السلام فيقول: **كُنَّا بمكةَ مَعَ رسولِ اللّٰهِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم، فخرجَ إلى بعضِ نواحيها، فما استقبلَهُ شجرٌ ولا جبلٌ إلا قالَ له: السَّلامُ عليكَ يا رسولَ اللّٰه** [٣].

أبا الزَّهراءِ، أيُّها العظيمُ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:

لقدْ صعِدتَ أُحداً يوماً، ومَعَك أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ رضي اللّٰه عنهم، فرجفَ الجبلُ فقلتَ لهُ: **(اثبُتْ أُحدٌ، فإنَّما عليكَ نبيٌّ وصِدِّيقٌ وشهيدانِ)** [٤].

وهلْ يَنسى الباحثُ عن عظمةِ الرِّجالِ، يا سيِّدي، يومَ دخلتَ حائطاً فجاءَ بعيرٌ فسجدَ لكَ؛ وكذلكَ يومَ كلّمَتْكَ ذراعٌ مشويةٌ فقالتْ: إنِّي مسمومةٌ [٥].

---

[٢] أخرجه الدارمي: المقدمة، الحديث ٤١.

[٣] أخرجه الترمذي: كتاب المناقب، الحديث ٣٦٢٦.

[٤] أخرجه البخاري: كتاب الفضائل، الحديث ٣٤٧٢.

[٥] أخرجه أبو داود: كتاب الديات، الحديث ٤٥١٠.

ولا غرابةَ، فاللّهُ القديرُ مَعَك، وعنايتُهُ التَّامةُ تكتنفُكَ، ورعايتُهُ الكبيرةُ دائماً لا تبارحُ ذاتَكَ الشَّريفةُ.

يا أيُّها النَّبيُّ الكريمُ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم:

أنتَ الرَّسولُ الحقُّ، وأنتَ مُحَمَّدٌ الحقُّ، وأنتَ النَّبيُّ الحقُّ صلَّى اللّه عليك وعلى آلك وسلَّم، شهدْنَا بذلكَ قلباً ولساناً، وأقررْنَا حالاً وقالاً.

لو جمعنا الشَّهاداتِ فيكَ، لنَفِدَ البحرُ إذ يكونُ مداداً، وكذلكَ الشَّجرُ إذ تكونُ أقلاماً.

والشَّهاداتُ هذهِ كانتْ قبلاً، يومَ لمْ يكنْ شخصُكَ، وكانتْ بعداً حين خُلقتَ ووُلدتَ، وتوالتْ سالفاً في العمقِ الممتدِّ أزلاً، ولاحقاً في البعدِ المتَتابعِ أبداً.

والأهمُّ في كلِّ الشَّهاداتِ شهادةُ الحقِّ الأعلى، الخالقِ الأعظمِ:

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ المنافقون: ١.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ سبأ: ٢٨.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾ المدثر: ١-٣.

سيِّدي أبا القاسمِ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم:

وعَدْتَ مَنْ يشهدُ بأنَّكَ رسولُ اللّهِ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم الشَّفاعةَ، فطُوبى لي، وإنِّي لساعةِ اللِّقاءِ، تتوِّرُها الشفاعةُ، على انتظار.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

دمتَ يا أعظمَ الخلقِ لكلِّ النَّاسِ، ويا أعظمَ النَّاسِ.
وهنيئاً لنا يومَ تسقينا مِنْ كفِّكَ الأطهرِ، ومن سلسبيلِكَ الكوثرِ...
يا أيُّها الأكرم، صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم.

محمود

الرِّسالة الخامسة والعشرون

سيِّدي:
أنت الزوجُ الأمثَلُ والأبُ الأفضَل

أيُّها الحبيبُ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم:

سيِّدي، يا مَنْ كنتَ وما زلتَ الأسوةَ والقدوةَ للإنسانِ، في كلِّ مجالٍ وميدانٍ.

أنتَ ربُّ أسرةٍ ناجحٍ، وأنتَ قائمٌ بالأمرِ الإلهيِّ خيرَ قيامٍ، طِبتَ حيَّاً، وطِبتَ ملتحقاً بالرَّفيقِ الأعلى، وطِبتَ شافعاً يومَ القيامةِ، وطِبتَ حيثُ كنتَ، وطِبتَ في أيِّ مكانٍ - بعطاءِ اللّهِ وفضلِهِ - تكون.

تزوجتَ فرحمتَ مَنْ تزوجتَ، وناديتَ فعدلتَ:

(خَيرُكمْ خيرُكمْ لأهلِهِ، وأنا خيرُكمْ لأهلي) [1].

و **(ما أَكرمَ النِّساءَ إلا كريمٌ، ولا أهانَهنَّ إلا لئيمٌ)** [2].

وتشهدُ الزَّوجاتُ الفضْيلاتُ بذلكَ، فتقولُ إحداهُنَّ، وهي السَّيدةُ عائشةُ رضيَ اللّهُ عنها: **(كانَ رسولُ اللّهِ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم ألينَ النَّاسِ بسَّاماً ضحَّاكاً)** [3].

---

[1] أخرجه الترمذي: كتاب المناقب، الحديث ٣٨٩٥. وابن ماجه: كتاب النكاح، الحديث ١٩٧٧.

[2] إتحاف السادة المتقين للزبيدي: ٣٦٤/٥، وعزاه إلى الطبراني وابن عساكر.

[3] أخرجه ابن سعد: ٣٦٥/١.

وتتابعُ رضي اللّٰهُ عنها: (**كانَ النَّبيُّ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم يخيطُ ثوبَهُ، ويخصفُ نعلهُ، ويعملُ ما يعملُ الرِّجالُ في بيوتِهمْ، ويكونُ في خدمةِ أهلِه**) [٤].

لقدْ عاهدتُ نفسيَ، سيِّدي، ألاّ أُحصيَ هنا ما أحفظُ، ولكنِّي سأذكرُ مِنَ المخزونِ العظيمِ أطرافاً، ولعلَّ طرفاً مِنْ هذهِ الأطرافِ يفوقُ مخزونَ التَّاريخِ، وما في جَعبتِهِ عن هذا الموضوعِ وكلِّ موضوعٍ.

وبعدَ الزَّواجِ كانَ الأولادُ وأولادُهم، وكنتَ الأرحمَ بهمْ، بعدَ اللّٰهِ الرَّحمنِ.

تُوفِّيَ ولدُكَ إبراهيمُ، وكانتْ سنُّهُ صغيرةً، وهو دائماً كبيرٌ لأنَّهُ بضعتُكَ، فبكيتَ، وقلتَ رائدَ الكلامِ في المناسباتِ:

(**إنَّ العينَ لتَدمعُ، وإنَّ القلبَ ليحزنُ، وإنَّا على فراقكَ يا إبراهيمُ لمحزونونَ، ولا نقولُ إلاَّ ما يُرضي ربَّنَا: إنَّا للّٰهِ وإنَّا إليهِ راجعون**) [٥].

يأتيكَ رجلٌ يُدعى الأقرعَ بنَ حابسٍ، فيراكَ تُقبِّلُ السِّبطَ الغالي الحسنَ عليه السلام، فيقولُ: يا رسولَ اللّٰهِ، إنَّ لي عشرةً مِنَ الولدِ ما قبَّلتُ واحداً منهم ! فتقولُ لهُ: (**وهلْ أملكُ إنْ كانَ اللّٰهُ قدْ نزعَ مِنْ قلبِكَ الرَّحمةِ. مَنْ لا يَرحمْ لا يُرحمْ**) [٦].

---

[٤] أخرجه أحمد: الحديث ٢٦٠٧٢، ١٦٧/١٨.

[٥] متفق عليه. البخاري: كتاب الجنائز، الحديث ١٢٤١. ومسلم: كتاب الفضائل، الحديث ٢٣١٥.

[٦] أخرجه مسلم: كتاب الفضائل، الحديث ٢٣١٧.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

ويحدِّثُنا عمرُ ﷺ، وقدْ دخلَ عليكَ فرآكَ واضعاً الحسنَ أو الحسينَ عليهما السَّلام، على عاتقيْكَ، فقال له: نِعْمَ المركب ركبتَ يا غلام ! فقلتَ له مدلِّلاً مداعِباً: (**ونِعْمَ الراكب هو**) [٧].

الرَّحمةُ أنتَ مُجسِّدُها في عالَمِ الخلقِ، واللّهُ مُجسِّدُها فيكَ:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ الأنبياء: ١٠٧.

وأمَّا قصتُكَ مَعَ أُمامةَ ابنةِ ابنتِكَ، فباديةُ العظمةِ، واضحةُ الرَّوعةِ، بَيِّنةُ الأُنسِ، جليَّةُ اللُّطفِ، يروي أبو قتادةَ يقولُ: (**خرجَ علينا رسولُ اللّهِ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم وأمامةُ بنتُ أبي العاصِ على عاتقِهِ، فصلَّى، فإذا ركعَ وضعَهَا، وإذا رفعَ رفعَهَا**) [٨].

وموقفُكَ مَعَ الزَّهراءِ سيِّدةِ الدُّنيا مثالٌ للسَّماءِ كما للأرضِ، ناديتَ: (**فاطمةُ بَضعةٌ منِّي. يَريبُني ما يَريبُهَا، ويؤذيني ما يؤذيها**) [٩].

أيُّها الرَّحيمُ الحريصُ علينا، العزيزُ عليه ما عَنِتْنَا.

أيُّها الأبُ الأشفقُ، والزَّوجُ الأكرم، والمعيلُ الأعظم صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم:

يكفيك ما قدَّمَتْه يداك في ذا الميدان لتكون عظيماً عامَّاً؛ فما بالك وقد قدّمت في كلِّ الميادين عظائمَ !

---

[٧] الترمذي: كتاب المناقب، الحديث ٣٧٨٤.

[٨] متفق عليه. البخاري: كتاب الأدب، الحديث ٥٦٥٠. ومسلم: كتاب المساجد، الحديث ٥٤٣.

[٩] متفق عليه. البخاري: كتاب النكاح، الحديث ٤٩٣٢. ومسلم: كتاب الفضائل، الحديث ٢٤٤٩.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

ما رأى أنسٌ خادُمك أرحمَ منك بالعيال ولن يرى، وما رأيتُ ولن أرى، وما رأى سواي ولن يرى.

أيتها الأمم الباحثة عن أنموذج فيما يتعلق بالأسرة:

إليكِ رسولَ اللّٰه صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم وأسرتَه، مثالاً لا يضاهى، ورمزاً يفوق ما في الدُّنيا من رموز جميعاً.

أيتها الأسر الساعيةُ إلى تماسك، الطالّبةُ الخيرَ، الناهضة في التعرُّف على أسرة:

هذا رسول اللّٰه صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم يكفيك ويغنيك.

فيا سيِّدي صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:

سأبقى أردِّد أمام الأزواج، والآباء، والأولاد، وكلِّ أفراد العائلات:

أنتَ الزوجُ الأفضل، والأب الأمثل.

وأنتَ أنتَ خيرُ مَنْ رعى الأسرة، فبلَّغها رسالةَ الحنان والأمان والحبِّ والوفاء والعطاء، حالاً وقالاً.

الصَّلاةُ والسَّلام عليك زوجاً وأباً وجدَّاً، وعلى آلك الأطهار، ما حثَّ زوجٌ الخطى في التنقيب عن قدوةٍ لا نظير لها.

واقبلني لاثماً عتباتٍ داستْها قدماك، يا رُوحي وروح زوجي وأولادي.

محمود

الرِّسالة السَّادسة والعشرون

دعوةٌ عامَّة إلى شخصيَّة كاملة

أيُّها الحبيب الغالي صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم
يا مَنْ بُعثت رحمةً للعالمين صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:
سأبقى أردِّد على مسامع الدُّنيا دعوةً عامة إلى شخصيةٍ كاملة تامَّة، إليك أنت يا سيِّدي؛ وهل إلاَّ أنت هو تلك الشخصية ؟

فيا أيُّها الإنسان الطامحُ إلى رؤيةِ إنسانٍ كامل، ويا أيُّها الإنسان الصَّادق في السَّعي إلى إنسانٍ شامل تامٍّ:
إليك رسولَ اللّٰه مُحَمَّداً صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم، فخُذه واتَّخذه.

أيُّها السِّياسيونَ، أيُّها القادةُ، أيُّها التجَّار.
أيُّها المربُّون، أيُّها المؤدِّبون، أيُّها المعلِّمون.
أيُّها المدرِّسون، أيُّها الآباء، أيُّها الأبناء.
أيُّها العابدون، أيُّها الحامدون، أيُّها المنصفون.

أيُّها النَّاس:
﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ المائدة: ١٥-١٦.

حُدِّد المنهاجُ فكان القرآنَ...

واصْطُفيَ المعيارُ فكنتَ أنت يا سيِّدي يا رسولَ اللّه.

ولقيصرَ الرُّوميِّ وِقفةُ ذِلَّة يروي الزمانُ قَبيحَها بصِحاح

كسْرَى لقيصرَ قالَها بتلعثمٍ جاءَ الذي قد قيلَ في الألواح

أوَلستَ القائلَ يا أبا الزَّهراء صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم: (**أنا خيرُ أصحابِ اليمين، أنا خيرُ السَّابقين، أنا أتقى ولَدِ آدمَ وأكرمُهم على اللّه، ولا فخرَ**) [1] ؟

والقائلَ: (**تنامُ عيناىَ، ولا ينامُ قلبي**) [2].

والقائلَ: (**مَا مِنْ شيءٍ في السَّماوات والأرضِ إلا يعلمُ أنّي رسولُ اللّه، إلا عاصيَ الجنِّ والإنس**) [3].

والقائلَ: (**أنا أكرمُ الأوَّلين والآخرين، ولا فخرَ**) [4].

والقائلَ: (**أنا إمامُ النَّبيِّين، وخطيبُهم، وصاحبُ شفاعتهم**) [5].

والمقولَ فيك: "ما رأيتُ أشجعَ، ولا أجودَ، ولا أنْجدَ، ولا أرضى من رسول اللّه صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم". كما ورد عن ابن عمر ﷺ.

---

[1] أخرجه الترمذي: كتاب المناقب، الحديث ٣٦١٣. والطبراني: في المعجم الكبير، الحديث ١٢٦٠٥، ٨٢/١٢.

[2] متفق عليه. البخاري: كتاب صلاة التراويح، الحديث ١٩٠٩. ومسلم: كتاب صلاة المسافرين، الحديث ٧٣٨.

[3] أخرجه الدارمي: المقدمة، الحديث ١٨.

[4] أخرجه الترمذي: كتاب المناقب، الحديث ٣٦١٦.

[5] أخرجه الترمذي: كتاب المناقب، الحديث ٣٦١٣.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

والمقولَ فيك أيضاً: "ما عند رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليس عند أحد من البشر"، كما ورد عن أبي بكر ﷺ.

سيِّدي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم:

لستَ من أجلِ شريحةٍ محدَّدة، بل مِنْ أجل كلِّ الشَّرائح، فأنتَ الكاملُ.

ولستَ القدوةَ في مجالٍ واحد، بل في كلِّ الاتجاهات، فأنت الشَّامل.

ولستَ عادياً في كلِّ شريحةٍ وفي كلِّ مجالٍ، بل الأفضلَ والأرقى والأروعَ والأعظمَ؛ فأنت التامُّ.

فيا رجالاً يبحثون ونساءً يبحثن:

خيرُكم جميعاً في التزامِ ومتابعةِ شخصيَّةِ الكون، بل شخصيةِ الأكوان؛ في معاهدةِ شخصيَّةِ الزَّمن، بل شخصيةِ الأزمان، إنَّه المصطفَى مُحَمَّدٌ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

فاللهُ أرسلَه، وعلى أجملِ وأكملِ حالٍ وكينونةٍ كوَّنَه، وللعالمين بشيراً ونذيراً اختاره.

اختاروا ما اختارَ اللهُ لكم، ولا تُنكروا.

والتزمُوا ما دعاكمُ اللهُ إلى التزامه، ومَنْ دعاكُم إلى التزامه.

وقولوا بلسانٍ واحد: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ آل عمران: ٥٣.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

أيُّها الحبيبُ،

سيِّدي:

سلامٌ عليك في كلِّ مكانٍ وكلِّ آنٍ.

وجزاكَ ربِّي خيرَ ما يجزي نبياً ورسولاً وإنساناً،

عن أمَّتكَ والإنسانيةِ جمعاء.

يا نورَ عيني.

محمود

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

الرِّسالة السَّابعة والعشرون

سيِّدي:

أنت أسوة فوق القدوة

أيُّها الأسْوةُ الحسَنةُ، وهكذا أرادكَ اللّهُ أن تكون:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ الأحزاب: ٢١.

فالإنسانُ، يا سيِّدَ الرُّسل، بحاجةٍ إلى مُقتَدىً به يُقنعُ به عقلَه، ويَرسمُ حركةَ الفعلِ للمبدأ الذي يؤمنُ به.

كما هو بحاجةٍ أيضاً إلى مُؤْتَسىً به، يُطمئن قلبَه بالحبِّ مَعَ القناعة وبعدَها.

والأولُ هو القدوةُ، والثاني هو الأسوةُ.

القدوةُ للاتِّباعِ والطَّاعةِ.

والأسوةُ للاتِّباعِ والطاعةِ والحبِّ.

القدوةُ يَقنعُ بها عقلُك.

والأسوةُ يَقنعُ بها عقلُك، ويتعلَّق قلبُك عبر الحبِّ بها.

فأنت يا سيِّدي أسوةٌ فوق القدوة.

كونُك رسولَ اللّهِ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم أقنَعَنا.

وكونك منَّا، حريصاً علينا، رؤوفاً بنا؛ علَّق قلوبَنا بالحبِّ بك.

نعم. أحببناك فوقَ الاتِّباع ومَعَه وبه، ولِمَ لا ؟ وأنت:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم: ٤.

والقلبُ جُبلَ على حبِّ مَنْ له الخُلقُ الحسنُ، سجيةً وطبعاً وفطرةً.

لِمَ لا ؟ وأنتَ الرَّحمةُ؛ وقلوبُ بني البَشر تعشقُ الرحمة: **(إنِّي لم أُبعثْ لعَّاناً، وإنَّما بُعثت رحمة)** [1].

وحَقَّ لك، سيِّدي، أنْ تقولَ لنا: **(لا يؤمنُ أحدُكم حتَّى أكونَ أحبَّ إليه مِن والدِه، وولَدِه، ومن النَّاس أجمعين)** [2].

ووجَبَ علينا أن نجيبَ:

سَنتَّبعك، سَنطيعك، سنحبُّك.

اتَّبعناك، أطعْنَاك، أحبَبْناك.

اتَّبعناك:

فقد ملأتَ عقولَنا إقناعاً؛ بمنهجكَ الذي أتيتَ به من ربِّك، برسالتك العظيمةِ التي أوحاها إليك خالقُنا، فلا واللّهِ ما أمرتَ بأمرٍ قال العقلُ: ليتكَ نهيتَ عنه، ولا نَهيتَ عن أمرٍ قال العقلُ: ليتك أمرتَ به.

أطعْناك:

فها أنتَ ذا تبلِّغنا الأمرَ عن اللّهِ:

﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ آل عمران: ٣٢.

وبلاغُك صادقٌ صَادقٌ صادقٌ.

---

[1] أخرجه مسلم: كتاب البر، الحديث ٢٥٩٩.

[2] متفق عليه. البخاري: كتاب الإيمان، الحديث ١٥. ومسلم: كتاب الإيمان، الحديث ٤٤.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

أجبنَاك:

لأنك، فوق ذلك وهذا، تفضَّلتَ علينا بسَبْق الحبِّ والعطاءِ وإرادةِ الخير، والقِصصُ الواردةُ عنك في ذا المجالِ عصيَّةٌ على الحصرِ والقصر.

لقد ودَّعت يوماً الشهيدَ عثمانَ بن مظعون ﷺ وداعاً جعلَ مَنْ حولكَ يتمنَّون الشهادةَ من أجلِ هذا الوداعِ، وضعتَ رأسَه في حِجرك الميمون وبكيتَ، ومِن دموعك كانت هناك لؤلؤتان على خدِّ عثمان فيا طوبى لعثمان.

ومَعَ أصحابك يومَ الخندق حفرتَ، ولهم دعوتَ: (**اللهمَّ لا عيشَ إلا عيشُ الآخرة، فاغفرْ للأنصار والمهاجرة**) [٣].

فأنت، وأيمُ الحقِّ، منَّا.

وكذلك فما أرحمكَ بنا، وما أشدَّ رأفتَك بأمَّتك!

لقد قرأتَ يوماً قولَه تعالى على لسان إبراهيمَ ﷺ:

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ إبراهيم: ٣٦.

وتلوتَ قولَه عزَّ شأنُه، على لسان عيسى ﷺ:

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ المائدة: ١١٨.

---

[٣] متفق عليه. البخاري: كتاب الجهاد، الحديث ٢٨٣٥. ومسلم: كتاب الجهاد والسير، الحديث ١٨٠٥.

ثُمَّ بكيت، وجاءك جبريل مرسَلاً من اللّهِ تعالى فسألَك: ما يبكيك يا مُحَمَّد ؟ فقلت: (**أمَّتي**). فعادَ جبريلُ لينقلَ الرسالةَ إلى الحيِّ القيوم، وهو يعلمُ، فقال اللّهُ: يا جبريلُ، اذهبْ إلى مُحَمَّد صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم، وقلْ له: (**سنُرضيك في أمتِّك ولا نَسُوؤك**) [٤].

نعم، أحببناك يا سيِّدي لأنك أسوتُنا، والأسوةُ تستلزم من المؤتسي - حيالَ المؤتسَى به - اتِّباعاً وطاعةً وحُبَّاً.

فلن نعدلَ عنكَ ما حيينا، وبعد إذ يتوفَّانا اللّهُ، وحين نقفُ يوم الحشر بين يدي اللّه.

يا هذه الدُّنيا أصيخي واشهدي إنَّا بغير مُحَمَّد لا نقتدي

ولا نأتسي.

يا أيَّها العظيم صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم:

حمداً للّهِ على أنْ كنت لنا هادياً.

وشكراً للّهِ على أنْ كنتَ منَّا.

والمنَّةُ العظمى للّهِ علينا أن اصطفاك لنا رحمة.

رحمةُ اللّهِ وبركاتُه عليك وعلى آلك، إنَّ ربي حميدٌ مجيدٌ.

محمود

---

[٤] أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، الحديث ٢٠٢.

الرِّسالة الثامنة والعشرون

سيِّدي:
الصَّلاة عليك فريضة منوَّرة
فهنيئاً لمن استنار

سيِّدي يا قُرَّةَ العينِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:

أليسَ مَنْ أحبَّ أَكثرَ مِن ذِكرِ مَنْ أحبَّ وما أحبَّ ؟ والصَّلاةُ عليك بعد السَّلامِ برهانُ حبٍّ، ودليلُ ارتباطٍ، وعلامةُ وصال:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ الأحزاب: ٥٦.

فاللّٰهُ جلَّ شأنُه يحبُّك، وكذلك ملائكتُه، والخبرُ الصادقُ جاءنا عنهم بأنَّهم يُصلُّون عليك، ودعانا، نحن مَن آمنَّا باللّٰه، أنْ نقيمَ دليلاً على حُبِّنا إياك بالصَّلاة والسَّلام عليك.

فاللَّهُمَّ صلِّ على مَنْ أحببتَ وأرسلتَ واصطفيتَ، وبه الرسالاتِ السماويةَ خَتمتَ، صلاةً تُرضيكَ وتُرضيه، يا خير المصلِّين والمُسلِّمين على الإطلاق، امتثالاً لأمرك، وإقامةً لفرضٍ منك علينا يا ربَّاه، وتحقيقاً لصلةٍ نافعةٍ مَعَك يا رسول اللّٰه، فأنت القائل:

(إنَّ للّٰه ملائكةً سيَّاحين يُبلغونَني عن أمَّتي السَّلام) [1].

وأنتَ الدَّاعي بقولك: **(حَيثما كُنتم فَصلُّوا عليَّ، فإنَّ صلاتَكم تَبْلُغني)** [2].

وأنتَ الضَّامن بدعوتك: **(مَا مِن أحدٍ سلَّمَ عليَّ إلا ردَّ اللّٰهُ إليَّ روحي، حتَّى أردَّ عليه السَّلام)** [3].

وقولِك: **(إنَّ اللّٰه وكَّل بقبري ملكاً أعْطاه أسماعَ الخلائقِ، فلا يصلِّي عليَّ أحدٌ إلى يوم القيامةِ إلا أبلغني باسمهِ واسم أبيه، هذا فلانٌ ابن فلانٍ صلَّى عليك)** [4].

أيُّها الحبيبُ الطبيبُ الشَّفيع الرَّفيع صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:

حَدَّثنا عنك صهرُك الإمامُ عليٌّ ﷺ: **(كلُّ دعاءٍ محجوبٌ حتَّى يُصلَّى على مُحَمَّد، وعلى آل محمد. صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم)** [5]، لأنَّك الصِّلةُ الدَّالَّةُ، والوشيجةُ الخيِّرةُ الواصلةُ، ولأنَّك بابُ اللّٰه، فأيُّ امرىءٍ أتاهُ مِن غيرك لا يدخل.

---

[1] أخرجه النسائي: كتاب السهو، الحديث ١٢٨١.

[2] أخرجه أبو داود: كتاب المناسك، الحديث ٢٠٤٢.

[3] أخرجه أبو داود: كتاب المناسك، الحديث ٢٠٤١.

[4] أخرجه البزار عن عمار بن ياسر ﷺ، الحديث ١٢٦٨.

[5] أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط موقوفاً، الحديث ٧٢٧. والبيهقي في "شُعب الإيمان"، الحديث ١٥٣٣. ورفعه بعضهم، والموقوف أصح.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

سيِّدي أبا الزَّهراء صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:

حياتُك تَنعش مَنْ عاصركَ وعايشَك، أطلقتَ الأرواحَ في سُبُحات السَّعادة، وجعلتَ العقولَ بما طلبتَه منها ذوات سيادةٍ، وها أنتَ ذا بعد انتقالكَ تستمرُّ عطاياك وتستمرُّ، فالْهَمُّ لا يَقربُ مَن صلَّى عليك، وله الهناءُ والاستقرارُ وزيادةٌ، فأنتَ قلتَ لهذا الذي سألك: أرأيتَ إنْ جعلتُ صلاتيَ كلَّها عليك ؟ فأجبته: **(إذاً يكفيك اللّٰهُ ما أهمَّك مِن دنياك وآخرتِك)** [٦].

أمَّا في الدُّنيا:

فلأنَّه يلقَى الراحةَ في فؤادِه، والسَّدادَ في لسانه، والصَّفاءَ في بصيرته، والرَّشادَ في عقله، وما ذلك عمَّن اتَّصل بك ببعيد، وهل يَطالُ الهمُّ مَنْ تولاك اتِّباعاً، فتوليَّتَه دعاءً وشفاعةً وأنظاراً ؟

وأمَّا في الآخرة:

فلأنَّك أخبرتَ فقلتَ: **(إنَّ أولى النَّاسِ بي يومَ القيامة أكثرُهم عليَّ صلاةً)** [٧].

وبشَّرتَ: **(مَنْ صلَّى عليَّ في يومٍ ألفَ مرةٍ لم يَمُتْ حتَّى يرى مقعدَه من الجنَّة)** [٨].

---

[٦] أخرجه أحمد: الحديث ٢١١٤٠، ١٥/٤٥٩.

[٧] أخرجه الترمذي: كتاب الصلاة، الحديث٤٨٤.

[٨] أخرجه ابن شاهين في كتاب "الترغيب في فضائل الأعمال"، الحديث ١٩.

وأكَّدتَ: (**مَنْ صلَّى عليَّ واحدةً صلَّى اللّٰهُ عليه عَشْراً، ومَن صلَّى عليَّ عشْراً صلَّى اللّٰهُ عليه مئةً، ومَن صلَّى عليَّ مئةً كتبَ اللّٰهُ بين عينيه براءةً منَ النِّفاق، وبراءةً منَ النَّار، وأسكنَه اللّٰهُ يوم القيامة مَعَ الشُّهداء**) [٩].

سيِّدي، وأنتَ سيِّدُ السَّادة في عالم البَشرِ:

السَّعادةُ في قُربك، فأنتَ مالكٌ زمامَها الأوفَى بين النَّاس، والهناءةُ في سرِّك، لأنَّ كلَّ سرٍّ مِن روح اللّٰه.

أنت سَندي، وأنت مَلاذي، وأنت مَرجعي من أجل إرضاء اللّٰهِ.

أسألكَ، بفضلِ الصَّلاة عليكَ، الشَّفاعةَ.

وأتوجَّهُ إلى جنابك، بأحبِّ المحبوبين عندك.

وأطلبُ القَبولَ، ياصاحبَ الوسيلةِ إذ تقومُ السَّاعةُ.

وأقفُ ببابك وأعتابك وأناديك:

ما لي سوى رُوحي وباذلُ نفسِه

في حبِّ مَن يهواه ليسَ بمُسرفِ

محمود

---

[٩] أخرج الكلمة الأولى منه مسلم: كتاب الصلاة، الحديث ٦٤٥. وأخرجه كاملاً الطبراني في المعجم الأوسط، الحديث ٧٣٦٨.

الرِّسالة التاسعة والعشرون

سيِّدي:

أنت المعصومُ الأكمل

قد غفرَ الله لك ما تقدَّم مِن ذنبك وما تأخَّر

سيِّدي أبا الزَّهراء صلَّى الله عليه وآله وسلَّم:

ولِمَ لا تكون معصوماً أكملَ، وأنت المعيارُ الحقُّ، للكتابِ الحقِّ ؟ تَمثَّلتَه؛ فكنتَه حركةً رساليةً واعيةً داعيةً هادفةً مُنقِذةً؛ وكان فيك مخزوناً تفجَّرَ في القلب والجوارح هدايةً تعلو كلَّ هدايةٍ، وهَمَّاً أَذْهبتَ نفْسَك حسراتٍ لتضعَه نوراً في كلِّ إنسانٍ على وجه البسيطة:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ الأنبياء: ١٠٧.

عجباً لبعضٍ مِن أمَّتي إذ يأخذُهم الحديثُ عنك على أنَّك في حُكم بقيَّة المسلمين، وهُمْ هُمْ أنفسُهم يُدركون ويعلَمون أنَّ تفرُّداً اصطفائياً يَحكُمك وحدك دون سواك:

﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ الأنعام: ١٢٤.

و: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ

مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ المزمل: ١- ٥.

و: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ الفتح ١-٣.

ومِنَ الآيةِ هذه في سورة الفتحِ أبدأ رسالتي هذه:

فهل يَبغي مَن يُريدُ الحُكمَ عليك بالعِصمةِ المُطلَقةِ أكثرَ مِنْ هذا الذي حَدَّثَ به عنك القرآنُ الكريم ؟

فالفتحُ مبينٌ، والمغفرةُ شاملةٌ لما مضَى ولما هو آتٍ، وإذا كان الغُفران سَتراً، وهو للماضي والحاضرِ والمستقبلِ، فَاعْجَبْ لمن يُصرُّ على رؤيةِ المستورِ وكَشْفِه، مِنْ عالمِ البشرِ !

وتمامُ النِّعمةِ إسباغُ فضلٍ لا يبقَى مَعَه خللٌ أو خَطَلٌ، وإلا فما تعني تلك الكلمةُ ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ إنْ لم يكن هذا الذي قلناه معناها ؟!

وهدايةُ الصراطِ المستقيمِ إضافةٌ أخرى ودليلٌ مؤكَّد تَنْضمُّ إلى أدلةِ الاصطفاءِ الرافضةِ لأدنى انزياحٍ عن هذا الصراطِ، ما دامَ الخطابُ على سَبيلِ المِنَّةِ والتَّفضُّلِ، منَ اللّهِ تعالى لرسولِه صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم.

وأمَّا النَّصرُ العزيز في الآيات الفَتْحيَّةِ، فإعلاءٌ مُتفرِّدٌ لا غَلَبَ فيه

الْبَتَّةَ، حسبَ ما تُوحي به دلالاتُ الكلمات، فأينَ منها تَصَوُّرٌ لنَيْلِ غيرِ الحقِّ منَ الحقِّ ؟

تعالى اللّهُ عمَّا يُقال في حقِّ مُجتَباه، ممَّا يُعارضُ تَعلُّقَ إرادتِه في حقِّ مُصطفاه عُلوّاً كبيراً، يُعلي به شأنَ عبدِه المختارِ صاحبِ الأسرارِ وسيِّدِ الأبرار.

سيِّدي:

هذه أُولى خَطْواتِ رسالتي هذه للحديث عن عِصمَتِك المطلقةِ.

وأمَّا الآيةُ الأخرى، التي أحكي منها وعنها حكايةَ عصمتكَ المطلقةِ، فقوله تعالى:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ النجم: ٣-٤.

وما سوى الهَوى الذي تَصْدُرُ عنه في نُطقك، إنَّما هو التزامٌ كاملٌ بالوحي، الذي لا يَنفكُّ عنك دائماً في كلِّ أحوالِكَ وأقوالِك وحركاتِك وسَكَناتِك، و ﴿هُوَ﴾ تعني أنتَ بُكلِّك، وبكلِّ ما يَصدُر عنك، فأنتَ المعصوم حقاً، عَظُمَتْ مراتبُك يا سيِّدي.

لقد قلت مرَّةً لعبد الله بن عمرو حاسماً الأمرَ لصالحِ العصمةِ المطلَقة: **(اكتبْ. فَوَالذي بَعثَني بالحقِّ لا يَخرجُ مِنْ هَهنا إلا الحقُّ)** [1].

وأشرتَ إلى فَمِكَ الشَّريفِ الطيِّبِ المُطيَّبِ المُطيِّبِ.

---

[1] أخرجه أحمد: الحديث ٦٨٠٢، ٦/٣١٥.

أيُّها الحبيبُ العظيمُ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:

إذا كان المتشابهُ لا يُقاوِمُ مُحكَماً في اعتبارِ دلالةِ الثاني؛ وإذا كان الظَّنِّيُ يَتوارى أمامَ القطعيِّ لتبقَى دلالةُ الثاني مُعتَمدَةً، فمَا للقومِ لايُثبِّتون هذا فيما يَخصُّ مسيرتَك العظيمةَ الطاهرة ؟!

ما للقوم يريدونَ اختراقَ المحكَمِ بالمتشابه، والقطعيِّ بالظني ؟!

أعني مُحكَمَ العصمةِ بمُتشابه الخَطأ، وقطعيَّ الصوابِ الكُلِّيِّ المطلَقِ بظنِّيِّ الخطأ الظاهرِ، الذي يَحتَملُ التفسيرَ والتأويلَ والتوضيحَ والإحكام.

إنَّ ما ذكرناه مِنْ آياتٍ تؤكِّدُ عصمتَك المطلقةَ، آياتٌ قطعيَّةُ الثُّبوتِ والدَّلالةِ على ذلك؛ وما يأتي به مَنْ يُريدُ خَدْشَ هذه العصمةِ مِنْ قصصٍ أو رواياتٍ فهيَ ظنيَّةُ الثُّبوتِ، ظنيَّةُ الدَّلالة على ما أرادوه مِنْ معنى الخطأ، في حقِّ مولايَ سيِّدي رسولِ اللّٰه صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم، ولا أبغي هنا عرضَ تلك الروايات، فلقد ذُكرتْ في كتبٍ مختلفة، ولكنْ حسبي أنْ يضعَ القارئُ في ذهنِه قواعدَ تصنيفِ لها متَّفَقاً عليها.

وأتابع، سيِّدي صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم، لأقولَ: كيف يُخطئُ مَن جاءَه الوحيُ يقولُ له مباشرةً:

﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ الطور: ٤٨ ؟!

وهل هذا المَحُوطُ بعين اللّٰهِ، الملحوظُ بها دوماً يغدو عُرضةً للخطأ ؟!

إذاً، فما معنى المباشرةِ بالخطاب ؟!

وما معنى التأكيدِ بـ (إنَّ) المشبَّهة بالفعل ؟!

وما معنى الجمعِ في (أعينِنا) ؟!

حاشاكَ، سيِّدي، أنْ تَخرجَ عن دائرةِ الرَّقابةِ الرَّاعيةِ، لمجرَّدِ فِعلَةٍ مُتشابهةٍ صدرتْ عنك، ولا أحدَ يُدرك حقيقتَها إلا اللّٰهَ.

سيِّدي الحبيبّ الحقّ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم:

ونرفض مَن يُميِّزُ في تصرُّفاتك بينَ تصرفاتٍ تتعلَّقُ بشؤون الدُّنيا، وأخرى ترتبطُ بشؤونِ الدِّين، ليتحدَّثَ عن طُروءِ خطأ في الأُولى، وعن عصمةٍ في الثانية، وكأنَّه بذلك قد وصلَ إلى تَقعيدٍ ثابتٍ صحيحٍ مُريحٍ، على حدِّ زعْمِهِ !

نعم. نرفضُ هذا التقسيمَ، لنقول:

حاشاك سيِّدي، فأنت خارجَ مِنْطَقةِ الخطأ، مِنْ دون تردُّدٍ، في كلِّ تصرُّفاتك مِنْ دون أيِّ تمييز، فأنتَ مُحَمَّدٌ المختَارُ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم، وأنتَ رسولُ اللّٰهِ المصطفَى صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم، وأنتَ الأكمَلُ ذاتاً وصفاتٍ، في شؤونِ دنياكَ ودينِكَ.

هذا أبو بكرٍ الصِّديقُ ﷺ يوم أُخْبِرَ عن إسراءِ الحبيبِ الأعظمِ صلَّى اللّٰه عليه وآله وسلَّم يقولُ: "إنْ كانَ قالَها فقدْ صدَقَ"، ولمْ يتركْ أيَّ مجالٍ لاحتمالِ خطأ أونسيانٍ أو وَهْمٍ، والمهمُّ أنْ تَثْبُتَ نسبةُ الفِعلةِ أو القولِ له، فإنْ صَحَّتْ النِّسبَةُ فقد صدَقَ؛ فلسانُه حُرٌ صَدوقٌ، وقلبُه مؤمنٌ مُطمَئنٌ راضٍ مَرْضِيٌّ.

سيِّدي رسولَ اللّهِ، أيُّها الحبيب صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم:

إنَّ صاحبَ الاختصاصِ يُسلِّمُ بقولِه المخالِف للقاعدةِ على أنَّه رأيٌ ذو اعتبارٍ، ولا يُوسَمُ بالخطأ. فـ سيبَويه وإنْ خالفَ القاعدةَ المعروفة في أمرٍ نَحْويٍّ، مخالفتُه هذه رأيٌ وليست خطأً، وكذلك الفراهيديُّ في علم العروض، فرأيُه في التَّفعيلةِ زِحافٌ وليس خَطَلاً.

فما بالُنا لا نسْحَبُ هذا على رسول اللّهِ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم ؟ لنقولَ عمَّا قاله في تأبيرِ النَّخيل مثلاً: إنَّه رأيٌ معتَبرٌ، ولا يمكن أنْ يكونَ خطأً أبداً؛ نعم ما بالُنا لانقولُ هذا ؟ وهذا هو منطقُ العِلمِ.

أيُّها الحبيبُ الشَّفيعُ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم:

نحن مَنْ نخطِئُ، وهذا أكيدٌ محقَّقٌ؛

فلِمَ لا نَنسبُ لأنفسِنا الخطأَ حين ننسبُ الخطأ إليك ؟

فاحتمالُ الخطأ فينا، ونحن نقولُ عن النَّبيِّ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم إنَّه أخطأَ، أقوى مِن احتمالِ خطأ النَّبيِّ صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم.

سيِّدي أبا الزَّهراء صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم:

لو صدرَ الخطأُ عنك مرةً واحدةً، على سبيلِ الفَرَضِ، لسرَى الشَّكُ فينا، نحنُ مَنْ نتلقَّى عنك، إلى مرَّات قادمةٍ، وهذا ما يُصيبُ أساسَ الارتباطِ بينَنا وبينك بسُوءٍ، وأساسُ الارتباطِ هذا، يا سيِّدي، تبليغٌ صادقٌ منكَ، ومسيرةٌ محكَمةٌ واعيةٌ عظيمةٌ تَخُطُّها أنت، واستجابةٌ منَّا لا تردُّدَ فيها، ولا شكَّ، ولا ريبَ.

قال الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ الأنفال: ٢٤.

وقال الله تعالى:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ النساء: ٦٥.

أيُّها المعصومُ الأكملُ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم:

أدَّبكَ ربُّكَ فأحْسَنَ تأديبَك، وكوَّنك فأعْظَمَ تكوينَك، فكنتَ العبدَ الشَّكورَ، ولم تكن العبدَ ذا الذَّنبِ المغفورِ، لأنَّك المعيارُ، والمعيارُ لا يُصيبُه خَللٌ، استغفرتَ لِتَرقَى، وتُبْتَ لتزدادَ قُرْبَاً، وكلُّ أمرٍ صدرَ عنكَ فَنِعِمَّا هو، في أيِّ صورةٍ ظَهَرَ، وعلى أيِّ وجهٍ بَرَزَ، وعبْرَ أيِّ قناةٍ تَبدَّى.

سيِّدي:

مُتشابه القرآنِ ليسَ خطأً، وكذلك المتشابه مِنْ أفعالك، وفي القرآنِ أُمرْنا بردِّ المتشابه إلى المحْكَمِ؛ وإلا فنحن زائغون، وكذلك فيما يَخُصُّ مسيرتَك؛ فلنردَّ متشابهَ الخطأ الظاهرِ إلى محكَمِ العصمةِ الواضحةِ المفسِّرةِ، لأنَّك والقرآنَ وجهان لحقيقةٍ واحدةٍ، أوَليسَ قد قيل فيك: كان خُلُقُه القرآنَ، كما صحَّ عن السَّيدةِ عائشةَ رضي اللّٰهُ عنها.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

فيا نورَ العيونِ، بل يا نورَ البصائرِ:

هيهاتَ أنْ يعتريَ السِّراجَ المنيرَ أدنى انطفاءٍ، أو أنْ يُصيبَ الوابلَ الطيِّبَ المتدفِّقَ شيءٌ من الانكفاء.

صلواتُ اللّٰهِ وسلاماتُه عليكَ

يا سيِّدَ الرُّسلِ، وسيِّدَ الأصفياءِ، وخاتَمَ الأنبياءِ،

يوم وُلدتَ، ويومَ بُعثتَ، ويومَ هاجرتَ،

وإذ استقمتَ، وكلُّ أيَّامك كذلك،

ويومَ لنا تَشفعُ، وعند اللّٰهِ في أعلى الدرجاتِ تُرفَعُ،

وسلامٌ على إخوانك الأنبياءِ والمرسلين،

وآلِ بيتك الأطهارِ الأشرافِ الأبرارِ أُولي السِّرِّ المَكين.

محمود

نَفْحَةُ الرَّوضَة

يا صاحبَ الرَّوضِ والرَّوضة:

وما كانت الرَّوضةُ لولا رَوْضُك، وما كانَ الكونُ لولا أريجُك وعبيرُك، فأنتَ الخُلاصةُ النافحةُ تكويناً، ومَنْ حولك وما حولك المنفوحُ بك تكليفاً.

سرُّ اللّه فيك لا يعلمُه إلا هو، وسرُّه فيك علَّمك إياه، فكان فضلُه عليك عظيماً، ومَنْ عُلِّم السِّرَ اصْطُفي واستُخلِص، ومَنْ حُرِمَه فليحمدِ اللّهَ وليُسلِّم لمن عُلِّمَه.

فإذا لم ترَ الهلال فسلِّم لأناسٍ رأَوْه بالأبصار

ومَن جهَدَ في التعرُّفِ على ما لم يُمنَحه ضاقَ صدرُه، وأضحَى ضيِّقاً حرجاً كأنَّما يصَّعَّد في السَّماء من دون معراج، وشتَّان بين مَنْ عُرِج به فشُرِحَ صدرُه، وبين مَن اصَّعَّد متكلِّفاً فضاقَ صدرُه.

يا صاحبَ سرِّ الروضةِ، إذ كان فيها روضُك:

رضينا بالسِّرِّ المستودَع فيك، وسلَّمنا لمن أودَعه، وما دامتْ مساحةُ الروضةِ في المدينة المنورة محدودةً بمنبرٍ وبيت، فإنَّها للدنيا رمزٌ وإشارةٌ،

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

وأعظمُ اتِّباعٍ فَهْمُ إشارةِ أهل السِّرِّ، فما البيتُ إلا أنتَ، وما أهلُه إلاك، وما المنبرُ إلا شِرعتك، والجنَّةُ كلُّ الجنةِ في تبليغ شرعك، يُنقَل عنك بأمانةٍ، ويُحفظُ بحبٍّ، ويُبلَّغ بصدقٍ.

فلا واللّه ما نال جنَّةَ الخلدِ مَن أعرضَ عن إشارةِ جنَّةِ الرَّوضةِ، ولا تحقَّق بالعزِّ مَن لم يفهمْ عنك ما نقلتَه عن ربِّ البيتِ بأمانةٍ، وحفظتَه بحبٍّ، وبلَّغتَه بصدقٍ، فكان عهداً على مَن أرسلك ألاَّ يقبلَ يومَ القيامة سواه.

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ آل عمران: ٨٥.

يا أيُّها المختارُ في السِّرِّ، لتكونَ سيِّدَ الإعلان

حَكَّمتُك فيما شَجَر بيني وبين نفسي، ورضيتُ ولم أجدْ حَرَجاً وسلَّمتُ تسليماً، قناعةً لا تغيِّرها الملمَّاتُ بعون اللّه، وحبَّاً لا تزعزعه كلُّ الاضطرابات بلُطفِ اللّه، وهيهاتَ أنْ يُوقِفَ المنعمُ استمرارَ عطاءٍ، وحاشاه أنْ يرفعَ عني ثوبَ سَترٍ كسانِيهِ بمحضِ الامتنانِ ومطلَقِ الوفاء.

فأنا، يا سيِّدَ الروضِ أينما كان والروضةِ حيث وُجدتْ، رهينُ نعماءِ المولى وعطائِه، وأسيرُ دعوتِك ودعائِك، وكلُّ سعادتي في رقِّي لربِّي وأَسْري لك، وجميع فرحتي في استنارةِ سرِّي ببعض بعضِ أنوارِ سرِّك، وهنيئاً لمن اسْتُرِقَّ فرضيَ بالاسترقاق إذ أعزَّه، ولمن أُسِرَ ففرحَ بالأسر إذ أطلقَه.

سيِّدي أبا الزَّهراء:

والزَّهراءُ أفضلُ مَن في الروضةِ غرْساً، طابَ البيتُ ومَنْ فيه، وهي البَضْعَةُ، وجلَّ ربُّه إذ اصطفاه مَعَ سكَّانِه، وهم الصفوةُ، ورحمةُ اللّٰه لنا إذ ننادي في آذان الدُّنيا:

اللّٰه ربُّنا.

وأنتَ نبيُّنا.

وأهلُ بيتك خيرُ أسوةٍ بعدَك لنا.

على ذلك نلقى اللّٰه، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون مِنْ أهلِ اللّٰه، إنَّه السِّرُّ في الأولى والآخرة، واللّٰه يعلم السرَّ وأخفَى، وطوبى لمن كانَ ما أخفاهُ أصلحَ ممَّا أظهرَه.

محمود

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

نَفحةُ القُبَّة الخضراءِ في الحجِّ

أيَّتها القُبةُ الخضراءُ:

أنتِ بديلُ الغمامةِ البيضاءِ، وإنْ شئتِ قولي: أنتِ هي في عالم الجنسِ والوَحدةِ وحقيقةِ المسمَّيَات دون الأسماءِ.

اصْطُفيتِ فكنتِ المهوَى، واجْتُبيتِ فكنتِ موضوعَ المَغْنَى.

شوَّقوني لرؤياكِ وهم يُنشدون، وهيَّجوني للِقاكِ وهم يُغنُّون، فجئتُك أحملُ في الضُّلوعِ لهفةً وفي الجوانحِ حُرقةً، وحين نظرتُك عَذرتُ المبالغين، ورحمتُ الوالهين، وناديتُ في سرِّي، وما أدراك ما سرِّي:

نعم، كلُّ ما حولَ الحبيبِ حبيبٌ، وحبُّ القريبِ مِنْ حبِّ الحبيبِ، وأشياءُ الحبيبِ تغلو، ومُختَصَّاتُ الحبيبِ تعلو، ومَنْ ينسَى حبَّ يعقوبَ لقميصِ يوسفَ ؟

ومَنْ الذي لا يذكرُ ما أحدَثه القميصُ مِن خيرٍ على عَيْنَيْ يعقوب ؟

أيَّتها القبة:

أنتِ بعضُ ما يذكِّر بحبيبي، فأنتِ حبيبي، وغدوتِ عنوانَ مسجدِ حبيبي، فأنتِ عنواني، فراسلوني يا أحبَّائي عليها، فأنا أفتِّش كلَّ يوم عمَّا جاءَ منها، وعنها، وإليها.

محمود

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

نَفْحُة طَيبةَ في العُمْرِة

يا رسولَ الله:

ها أنا بين يديك، وفي روضِك حَططتُ، وإنِّي على ثقةٍ بربِّي أنَّ الذي أكرمني بدخولِ بعضِ الجنَّةِ في الدنيا، كما أخبرتَ، لن يحرمني في الآخرةِ كلَّها وأصلَها، وحاشا ربِّي يُذيقُ ويَمنع.

أمامَ مُصُلاك أرنو إلى أيَّامٍ هي الروائزُ لُبقيةِ الأيَّام، وذكرتُ يوم قلتَ لمن حولك: (**إنِّي لأرى مِنْ خلفي كما أرى مِنْ أمامي، وما يَخفى عليَّ ركوعُكم ولا سجودكم**) [1]، وما أظنُّ إطلاعَ الله لك مقصوراً على مَنْ خَلفَك في تلك اللحظةِ، إذ المطلقُ يُعطي ويمنحُ دون حدودِ زمانٍ وحواجزِ مكان؛ فهل رأيتَني يا حبيبَ الحقِّ خلفَك أركعُ وأسجدُ ؟

مناي ذلك، ومبتغاي أنْ تذكرني على لسانِك الأشرفِ في حضرةِ مَنْ أكرمَ بك الأرضَ والسَّماءَ والحجرَ والشَّجرَ والإنسانَ والجانَّ، ورحِمَ بإرسالك العالمينَ.

يا نورَ البصرِ ومجلَى البصائر:

أسألك الشفاعةَ، وأنا أعلم أنِّي عن طَلَبِ ذلك قاصرٌ، ولكنَّ الكريمَ على احتمال الضعيفِ قادرٌ، وَسِعَ قلبُك الأطهرُ نوراً يكفي

---

[1] أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، الحديث ٤٢٤.

لكلِّ أفراد الأمَّةِ ما دمتَ قائماً فيهم، وهذا ما أخبرَ به العليمُ الآمر:

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ الأنفال: ٣٣.

بعد قوله الصَّادر: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ الحجرات: ٧.

وهيهاتَ أن يُدركَ حقيقتَك، في هذه وتلك، إنسانٌ هو أدنى منك، وهل يُحيط المنصور بالناصر ؟

عزَّت مراتبُك، وإنِّي بأهداب أهدابها وأطرافِ أطرافِها، إنْ أكرمتَني بالتعلُّق بها كنتُ الفائز، ولن أُدْعى بالخاسر.

عليك سلاماتُ ربِّي وصلواتُه يا رسولَ الظواهر والسَّرائر، ما قال مسلمٌ في صباحه ومسائه اللّه أكبر، وبثَّ إيمانَه في كلِّ ما صدرَ عنه مِنْ عبائر.

محمود

نَفْحَةٌ في الرَّوضَةِ

سيِّدي رسولَ الله، أيُّها الصَّادق المصدوق:

مِنْ ضياءِ نورِكَ أقتبسُ، ومِنْ فَيضِ عطائِك أستقي، ومِنْ قسَماتِ جبينكَ أستنيرُ، ومِنْ خيرٍ عميمٍ سكنَ إهابكَ أنهَلُ، لأكونَ بالإنسانيةِ جديراً، فلا والله ما اتَّسمَ بلمحاتِ فضيلةٍ، ولا تحقَّقَ بمعالم حقٍّ، مَنْ عَدَل عنك، ونأى عن بابك، وجانبَ رحابَك.

كلُّ الإنسان إنْ لم تكن له هادياً ضالٌ، وكلُّ الصفات إنْ لم تختِمْها بِنَداك جُرُدٌ، وكلُّ المعاني إنْ حادتْ عن مَسَربِكَ تاهتْ في بيداءِ اللغو المقفرة !

فإنْ أتيتُك اليومَ - وقلبي لا ينفكُّ عن الإتيانِ إليك كلَّ يوم - فلِعَرضِ شكوى أرفعُها منِّي عليَّ:

ظلمتُ نفسي ظلماً كثيراً، وشَقِيتُ بذنوبي شقاءً كبيراً، وقصَّرتُ في حملِ الأمانةِ أيَّما تقصير، ولم أبلغ منها حتَّى النذرَ اليسير.

تشعْبتْ مسالكُ الشَّهوات، وجفَّتْ فِيَّ منابعُ الخيرات، وتعدَّدت طرائقُ الهوى، وروحي هَدَّتْها عواصفُ النَّوى...

فأنت بابُ الله للمستغفرين.

وأنتَ أنتَ الحريصُ على المسلمين وغير المسلمين.

وأنتَ الرؤوفُ الرحيمُ بالمؤمنين...

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

فاقْبَلْ بحقِّ شفاعتك شكواي، واستغفرْ لي ما قد حملتُ من الأوزار عندَ اللّه، يا نورَ سرِّي وسلواي، فالفَمُ فيك معطَّر، والقلبُ أنقَى مِنْ كلِّ نقيٍ وأطهر، والرُّوحُ نفخَها الحقُّ فيك عصمةً لا تعرفُ الزللَ ولا تتكدر.

أستودعُك يا حبيب الحقِّ آلامي، ولي كاملُ الرجاءِ بربي أن يُحقِّق بصَلاتي عليك آمالي.

الصَّلاةُ والسَّلامُ والأمان يا بهجة الحياة عليك، والخيرُ ساقه اللّه حُبًّاً إليك.

محمود

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

نفحةُ الزِّيارةِ والرَّوضةِ في الحجِّ

الصَّلاة والسَّلام عليكَ يا حبيبي يا رسولَ اللّه.

الصَّلاة والسَّلام عليك يا أيُّها المبعوثُ رحمةً للعالمين.

الصَّلاة والسَّلامُ عليك أيُّها الحقُّ في رسالتك، الحقُّ في نُبوَّتك، الحقُّ في اصطفائِك واجتبائِك.

أرسلك ربِّي للناس بشيراً ونذيراً، فهيَّأكَ وكوَّنكَ وأعدَّكَ، فلقد قال جلَّ شأنُه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ سبأ: ٢٨.

وقال عزَّ مِنْ قائل: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ الأنعام: ١٢٤.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾ النساء: ١١٣.

فاللّه العظيمُ في ذاتِه وصفاتِه منحكَ فضلاً عظيماً، ومدحَك بالخُلُقِ العظيمِ.

وهذه واحدةٌ من مجموعةِ مَكْرُماتٍ.

ثُمَّ بعدَها فاللّه الكبيرُ الواسعُ أرسلكَ للنَّاسِ كافَّةً عامَّةً، دون استثناءٍ، وجعلك شهيداً: ﴿وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا﴾ النساء: ٤١.

وهذه ثانية.

والإسلامُ - الذي هو معنَى الرِّسالاتِ السَّابقةِ ومضمونُها - في رسالتك ظاهرٌ وباطنٌ، شكلٌ ومضمونٌ، مبنىً ومعنىً، إبراهيمُ عليه الصَّلاة والسَّلام أسلمَ، وكذلك مَنْ بعدَه منَ الأنبياء، إذ أوصاهم بالإسلام: ﴿فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ﴾ الحج: ٣٤.

أمَّا أنتَ فالإسلامُ حقيقةٌ قائمةٌ فيك تكويناً، لا تحتاجُ إلى تكليفٍ، وهل يُكلَّف الشهيدُ بما يُكلَّف به من يَشْهَدُ عليهم، وإنما يُشْهَد له بتحقُّقه فيه أصالةً، ليُصارَ إلى اتّباعِه والقياسِ على منواله.

سيِّدي رسولَ الله:

من أماكنَ مختلفةٍ يُتَوجَّه إلى جنابك، فالأبيضُ والأحمرُ والأصفرُ يأتون، والحبُّ مِلءُ القلوبِ، والعيونُ مغرورقةٌ بدموعٍ تعبِّرُ عن مكنونِ تَعلُّقٍ وتودُّدٍ وتحبُّبٍ، والجوارحُ تسعى لتُفصح بحركاتِها عمَّا دبَّ فيها من وصالٍ نحوك وشوقٍ إلى لقاك، تبحثُ عن كلمةٍ تضعُها أمامَ جنابك الشَّريفِ، فتجدُ كلَّ الكلمات قواصرَ، ولا تُلفي بعد سعيِ الصِّدقِ إلا ما قالَه ربُّك الأكرمُ فيك، فذاك الأَلْيقُ بجنابك والأوفى بحقِّك؛ ثمَّ ما قلتَه أنت عن ذاتك، فهو الألصَقُ بحقيقتك والأمثَلُ في إظهار مكانتك.

فمِنْ: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ الفتح: ٢٩.

إلى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ الأنبياء: ١٠٧.

إلى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم: ٤.

إلى قولك: **(أنا مُحَمَّدٌ، وأنا أحمدُ، وأنا الماحي، وأنا الحاشر)** [1].

وقولك: **(أنا أولُ مَنْ يُحرِّكُ حِلَقَ الجنَّةِ بيده)** [2].

إلى صلواتك على ذاتك، وتعليمِك إياها أمَّتَك.

وإذا ما أرادوا فيضاً مِنْ لغتهم وكلماتهم، لم يجدوا مفرداتٍ إلا مِنْ تلك المصادر التي قالها ربُّك الأعلى وقلتَها في حديثك الأجلَى، وإذا كنتُ واحداً من هؤلاء يا سيِّدي، يا أيُّها الرحمةُ المهدَاة، فما أحراني أن أُركِّب صلاةً مِنْ كلماتِ الحقِّ جَلَّتْ قدرتُه، وعباراتِ ثغرك الوضَّاء عَظُم قدرُك.

فهل تسمحُ يا سيِّدي أن أقولَها لك، وأنت الحريصُ علينا الرحيمُ بنا، فعساها هذه الصَّلاةُ أن تُدَّخرَ في سِجلِّ كتابي، لتأتيَ على السيئةِ فتقضيَ عليها بغفرانِ ربِّي، ثُمَّ بشفاعتك، وعلى الحسنةِ لتجعلَها محلَّ تجلٍّ للقَبول مِنْ خالِقِك، وموضعَ عنايةٍ لطيفةٍ مِنْ جانبك يا سيِّدَ الكائنات ؟!

اللهمَّ أنت اصطفيتَ مُحَمَّداً واجتبيتَه،

وأرسلتَه وأمَّنته على شريعتك إلى النَّاس إلى يومِ القيامة.

فبحقِّ الاصطفاءِ الذي هو فعلُك،

والاجتباءِ الذي إليك وحدَك دون سواك:

صلِّ عليه صلاةَ رحيمٍ بذاته، على رحيمٍ بفضلك عليه.

---

[1] متفق عليه. البخاري: كتاب التفسير، الحديث ٣٧٢. ومسلم: كتاب الفضائل، الحديث ٢٣٤٥.

[2] أخرجه الترمذي: كتاب المناقب، الحديث ٣٦١٦.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

وصلاةَ مُرسِلِ عليمٍ، على رسول مُعلَّم منك ما لم يكنْ يعلمُ.

وصلاةَ قيُّومِ السَّمواتِ والأرض على قائمٍ بالأمر.

وصلاةَ رؤوفٍ بذاته على رؤوفٍ بنعمتك عليه.

وصلاةَ شَهيدٍ على شاهد.

وصلاةَ آمرٍ وناهٍ على بشيرٍ ونذير.

وصلاةَ ذي الجلالِ والإكرام على صاحب الشفاعةِ والنوالِ.

وسلِّمْ سَلامَ عَلاَّمِ الغيوبِ على من هو النقطةُ في عالم الشُّهودِ.

وعلى آلهِ نجومِ سماءِ مَظهرِك الأجلى،

ومعادِنِ الفضلِ في خَلقك الأسمى

وصحبِه المختارين له قَبلاً

وتقبَّل مِنْ عبدك محمود جهدَه في الفهم الذي تُثيبُ عليه.

وألْحِقه برحمتك في سجلِّ مَنْ بالأصل رُحِمُوا، وبالفرعيَّةِ اتّسموا،

فأنتَ الملجأ والموئلُ، ولا حولَ ولا قوة إلا بك.

محمود

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

من مؤلفات المفكر الإسلامي الدكتور الشيخ

ومنشورات دار فُصِّلَت للدراسات والترجمة والنشر

١- أسرتي وإسلامي.

ط٢، ٢٠٠٤. القياس: ١٧×٢٤ فني. الصفحات: ١٧٦.

دراسة عن الأسرة في الإسلام تكويناً وتنظيماً، والكبير المسنِّ براً وتقديراً، والمرأة دوراً ومكانةً، والطفل رعايةً وعناية، ودستورٌ للعلاقات الأسرية من القرآن والسنة، فالأسرة هي الدرع الحصينة، وهي مطلب إنساني فطري لا بديل عنه، وهي من غير الإسلام تعبٌ وفوضى، كما إن الإسلام من غيرها تجريد وفتوى، فإن كانا معاً - الأسرة والإسلام - بانسجام سعدت الأسرة وانتشر الإسلام ؛ وإن تنافرا فالويل عندها للإنسان.

٢- الإسلام والإنسان.

ط٣، ٢٠٠٦. القياس: ١٥×٢١. الصفحات: ١٢٨.

يعد هذا الكتاب إضافة جد هامة نحو تأسيس علم كلام جديد، يلاحظ تطور الفكر الإنساني وارتقاءه، ويسهم في تجلية أبعاد مناسبة هذا الدين للإنسان. وهو يقدم وجهة نظر عن الإسلام والإنسان، فيها - بعد تعريف كلٍّ منهما - حديثٌ مفصل عن الإنسان كما يصفه الإسلام، أو إن شئت قل: ملامح الإنسان في الإسلام، ثم عن الإنسان كما يريده الإسلام ؛ غايةً وهدفاً، ثم عن التكليف طريقاً لتحقيق المطلوب من غاية وهدف.

الإسلام والإنسان - كما تقول مقدمة الكتاب - عنوان حياة آمنة تعقبها آخرة فالحة، وسنبقى نردد: لا غنى للإسلام عن الإنسان لأنه محلُّه ؛ ولا غنى للإنسان عن الإسلام لأنه سبيله.

٣- التربية الإسلامية: أبحاث علمية. أسس تربوية. طرائق تعليمية.

ط١، ٢٠٠٥. القياس: ١٧×٢٤. الصفحات: ١٤٤.

يتوجه هذا الكتاب إلى إعداد مدرسي التربية الإسلامية الإعداد العلمي المناسب، وقد قسمه المؤلف إلى ثلاثة أقسام، أولها أبحاث علمية تهدف إلى تزويد مدرس التربية الإسلامية بتصور شامل عن

الإسلام. أما القسم الثاني "أسس تربوية: فيضم ثلاثة فصول: قواعد إسلامية عامة في تربية الطفل. مقومات مدرس التربية الإسلامية. الوسائل التعليمية ودفتر التحضير. ويشرح القسم الثالث "طرائق تعليمية" - في ثمانية فصول - طرق تدريس أقسام التربية الإسلامية، كتدريس القرآن الكريم تلاوة وتفسيراً، وتدريس الحديث الشريف والسيرة النبوية والنظم الإسلامية وغيرها.

٤- التطرف والاعتدال وقضايا مقاربة: السلام والحرب، المقاومة والإرهاب، الأصولية والوسطية.

ط١، ٢٠٠٧. القياس: ١٥×٢١. الصفحات: ١٢٨.

لماذا أضحى الإرهاب قرين المسلمين، بل وبات يغطي بقَتاره سيماء الإسلام الناصعة ؟ وهل للمسلمين دور في ذلك ؟ إنها مصارحات يفضي بها المؤلف إلى أبناء أمته، وصرخات منذرة، ودعوة إلى التفكر في واقع الإسلام والمسلمين اليوم . الدكتور الشيخ محمود عكام يقدم في هذا الكتاب شهادة عن وجودنا في عالم اليوم، الذي غدا المسلمون والعرب فيه مادة لأهم أحداثه، غير أن ذلك لا يعني بالضرورة أنهم يشاركون في صناعة هذه الأحداث وصياغتها. الذي علينا في هذه الشهادة أكبر مما لنا، والخطاب الموجه إلى الذات أعظم من ذاك الموجه إلى الآخر. والدعوة فيها صريحة إلى مواجهة الحقيقة، فإن كانت إسرائيل وأمريكا مشكلة كبيرة لنا، فإنهما ليستا المشكلة الأكبر: دواؤك فيك وما تبصر، وداؤك منك وما تشعر.

٥- حوار مع الصحافة: أسئلة من الواقع وإجابات من الإسلام.

ط٢، ١٩٩٩. القياس: ١٧×٢٤. الصفحات: ١٦٨.

حوارات حرَّة عن الإسلام وقضايا الإنسان اليوم، في الدين والاجتماع والسياسة والاقتصاد والفكر والعلم، وكل ما يشغل بال الصحافة، يقدِّم فيها الدكتور محمود عكام فكره المتنور، وأهمُّ ملامح هذا الفكر، بعد الارتباط بنور القرآن الكريم:

أ - ملامسته للإنسان عن معرفة، ومخاطبته عن تقدير.

ب - أنَّه لا يحرص على إصدار الأحكام، بل يبغي البرهان والدليل.

ج - أنَّه يسعى إلى رسم معالم صيغة للتعايش بين الناس كافة.

ويتخذ من أجل ذلك كله أرقى سُبل الحوار وآنقها، مترسماً خطى سيد المصلحين ﷺ.

٦- سبيل المعروف: دراسةٌ علمية وعملية يحتاجها كلُّ مسلم.

ط٥، ٢٠٠٦. القياس: ١٧×٢٤. فني. الصفحات: ٣٠٤.

فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تعني أن يكون الإنسان مسؤولاً عن صيانة مجتمعه

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

ورعاية أمته، وهذا الكتاب أول "تقنين" وصياغة معاصرة لهذه الفريضة، في موادَّ مرتبة وموزعة على جوانب الحياة كافة، مدعَّمة بالنصوص القرآنية وشواهد الحديث الشريف، لتشكل نواةً لمشروع نظام إنساني عام. وصل عدد هذه المواد - مواد منهاج فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- إلى مئة مادة وست، توزعت على ستة فصول رئيسة.

٧- الشريعة الإسلامية: رسم أبعاد وتبيان مقاصد.

ط١، ٢٠٠٠. القياس: ١٧×٢٤. الصفحات: ١٢٠.

محاضرات في الشريعة الإسلامية، ومدخل إلى دراستها، يبين مصادر هذه الشريعة التي جاءت لرعاية سلوك الإنسان قولاً وفعلاً، من خلال التكليف الذي يبنى على أساس من "المقاصد" التي ينبغي حفظها ورعايتها، كما يبين الكتاب الأطوار التي مرت بها دراسة الشريعة الإسلامية، وأهم سماتها.

٨- عُصَارات: كلمات في المنهج والنقد والحبِّ.

ط٢، ١٩٩٦. القياس: ١٧×٢٤. الصفحات: ١٣٦.

كلمات مستخلصة من تجارب، وعبارات صاغتها معاناة، "عشتُ بعضها بنفسي، وتلقيت بعضها الآخر عن تجارب غيري، وأنا في كلا الحالين راصدٌ، أبتغي في النهاية خدمة، وخدمة الإنسان دأبي، وأجمل الخدمة اختصار مسافات الحياة بمستوياتها، في ثوب كلمة ناصحة منصوحة".

٩- فكر ومنبر: مفاهيم وقضايا تُقدمها خطبة الجُمعة.

سلسلة فكر ومنبر / ١. ط ٢، ١٩٩٧. القياس: ١٧×٢٤. الصفحات: ٥٢٠.

إعداد وتقديم: محمد أديب ياسرجي ومحمد أمير ناشر النعم.

نالت خطبة الجمعة - على يد الدكتور محمود عكام - نصيباً وافراً من عملية تجديد الفكر الإسلامي، في أسلوبها ومضمونها، ويضم هذا الكتاب مجموعة من الخطب الرائدة التي ألقاها الدكتور محمود من على منبر جامع التوحيد الكبير في حلب، والتي غطَّت مواضيعها مساحةَ الحياة الإنسانية، أملاً في إقناع الناس بجدارة الإسلام للحياة، وأحقيَّته باستلام زمامها، وأسبقيَّته من أجل أن يكون ملاذاً ومرجعاً للإنسان الباحث عن وجود.

وقد قدَّم مُعدًّا الكتاب لكل واحدة من الخطب بمقدمة خاصة تضعها في إطارها العلمي والفكري والاجتماعي، بالإضافة إلى مقدمة عامة مطولة للكتاب، درسا فيها - عبر ثلاثة فصول - خطبةَ الجمعة، أصلَ مشروعيتها، والحكمةَ منها، وأسبابَ تخلفها اليوم عن القيام

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

بمهمتها الموكلة إليها، ثم درسا ملامح التجديد في خطبة الجمعة عند الدكتور الشيخ محمود عكام، وهموم وقضايا الخطبة عنده.

١٠- فكر ومنبر: قضايا الإنسان ومفهومات الرسالة في خطبة الجمعة.

سلسلة فكر ومنبر / ٢. ط ١، ٢٠٠٢. القياس: ١٧×٢٤. الصفحات: ٤٨٠.

إعداد ودراسة: محمد أديب ياسرجي.

الحلقة الثانية في سلسلة "فكر ومنبر"، وهي تضم خمساً وثلاثين خطبة من الخطب الرائدة للدكتور محمود عكام. من عناوين خطب هذا الجزء: سلسلة خطب "نحن والغرب"، وسلسلة خطب "إعداد الفرد" سلوكياً ونفسياً وفكرياً، وسلسلة خطب "مقومات الهجرة"، وسلسلة خطب "مقومات الوعي الإنساني". قدَّم مُعدُّ الكتاب لهذا الجزء بدراسة نقدية تحليلية لخطبة الجمعة في أربعة فصول، أولها عن قواعد إعداد خطبة الجمعة، والثاني عن أسس إلقائها، والثالث يبحث في أهم ملامح شخصية الخطيب الناجح وتأهيله وكيفية إعداده، أما الفصل الرابع فيدرس الأهداف التي ينبغي على خطبة الجمعة أن تسعى لتحقيقها.

١١- اللهمَّ هؤلاء أهل بيتي: قبساتٌ من ضياء أهل العباء عليهم السلام.

ط١، ٢٠٠٢. القياس: ١٧×٢٤. الصفحات: ١١٢.

جولة في رياض الحب والفكر والأدب، فيها تأطير للموقف المطلوب تجاه أهل البيت عليهم السلام في دائرة مصطلحين هما الثناء والولاء، فأهل البيت أمنٌ من الزيغ وأمان من الضلال، وقد كتبه الدكتور محمود عكام أملاً في إظهار نقطة اتفاق ثابتة أكيدة، تكفي مع مثيلاتها في الحكم والوضوح، لتذكرة المسلمين على اختلاف مذاهبهم وتوجهاتهم بأن الأوان آن لوحدة مطلوبة واجتماع منشود، بتوضيح سبل، وإزالة سدود، فأهل البيت عامل وحدة ولقاء، ليس الوحيد في عالمه، ولكنه واحد من جملة، فهل نجعله سبيلَ وحدة منشودة، ولقاءٍ أخويّ مؤكد ؟

١٢- مسيرة حاجّ: أحكام. أدعية. نفحات.

ط ١٠، ٢٠٠٥. القياس: ١٠×١٤. الصفحات: ١٢٨.

العدد الأول من سلسلة أركان الإسلام، وهو دليلٌ للحاجّ والمعتمر، يُمضيان فيه مع المؤلف رحلتهما، وما الحج إلا زيارة واعية لتلك المرابع والمغاني، يستجمع فيها المسلم نفسه ليؤكد مع الله عهده، ويدعّم مع ربه ولاءه وعبوديته.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

١٣- مسيرة صائم: حكم وأحكام ودروس وأحداث.

ط ٥، ٢٠٠٣. القياس: ١٥×٢٢. الصفحات: ١٢٨.

العدد الثاني من سلسلة أركان الإسلام، وهو يضم أحكام صومٍ موجزة، وحكماً ودروساً بالأدلة مؤكَّدة ومعزَّزة.

١٤- من ذاكرة التمرد: صفحات من التفكير في الممنوع والمرغوب.

ط٢، ٢٠٠٣. القياس: ١٧×٢٤. الصفحات: ٢٠٨.

مقالات ناقدة جريئة، ومحطات للسؤال صريحة، ومواقف للاعتبار يقظة، يقف فيها الدكتور محمود عكام موقف الشاهد البصير، حتى لا نندم ونقول: قد فات الأوان.

من عناوين هذه المقالات: معيار الفطرة عبر الطفولة - لا تحكم على الظاهر - لا يا عرب - لنلتقِ دون ألقاب - لعبة السياسة في العالم الثالث - مللتُ الحبَّ - رؤى في زنزانة الحرية - فلسطين الدرس والعبرة - ربعك الناقص. وكانت الطبعة الأولى من هذا الكتاب قد صدرت بعنوان: لوحات. صفحات من الإيمان والتجربة والوجدان.

١٥- من مقولات الفكر الإسلامي: رؤيةٌ جادَّة لموضوعات هامَّة.

ط١، ٢٠٠٢. القياس: ١٧×٢٤ فني. الصفحات: ٤٩٦.

رؤية إسلامية جادَّة، تنهل من معين النصِّ الإلهي الثابت، لتعيد التفكير في قضايا هامة تمسُّ الإنسان أنَّى وكيف كان، مبرزةً معالم الخير الذي ينشده الإنسان، والذي يحمله الإسلام له. من عناوين فصول هذا الكتاب: الحضارة مفهوماً إسلامياً - الحوار من الإنسان إلى الإسلام - دور الدين في التحرر القومي - المرأة في منظور إسلامي - جدلية الفقه والحياة - هل الديمقراطية مطلب إسلامي ؟ - قواعد قراءة النص الإسلامي - سبل النهوض الإنساني.

يؤكد الخطاب الذي يقدمه الدكتور عكام في هذا الكتاب للقارئ الجادِّ حيويةَ الفكر الإسلامي، وقدرته - إذ يستند إلى النص الثابت، ويتفاعل معه بالمعطيات العلمية قديمها وحديثها - على ملامسة الأوتار الإنسانية الحساسة، عازفاً لحناً منسجماً في ذاته، وقابلاً للطرح الإنساني العامّ، في قالب من اللغة المستوعبة لمفاهيم العصر، والمثيرة لحوار جادٍّ مع الآخر.

١٦- نزهة المحبِّين في روض الصلوات على سيِّد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم.

الإعادة الثالثة للطبعة ١ التي صدرت عام ٢٠٠٤. القياس: ١٢×١٧. الصفحات: ١٤٤.

يضم هذا الكتاب ٢٥٦ صيغة للصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، اختارها المؤلف

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

من آلاف الصيغ الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن أهل بيته وأصحابه، وعن العلماء والعارفين منذ فجر الإسلام وإلى يومنا هذا. أرادها المؤلف رسالة لشباب الأمة في زمن تستغيث فيه الأرواح عطشاً للتعرف إلى محبوب كامل، يَقنع به العقل ويتعلّق به القلب.

١٧- فقه وحياة: أسئلة وإجابات.

ط١، ٢٠٠٧. القياس: ١٧×٢٤. الصفحات: ٢٨٠.
إعداد: أحمد خطيب وعبد القادر كلزية.

الفتوى رأي إنساني ولّدته حركة التفكير الجادّ في النصوص الشرعية الأصلية، وهي اجتهاد في التعرف على مرادات الشرع في الوقائع الإنسانية الحاصلة؛ والأصل في الفتوى أنها تقبل الخطأ والصواب. يضم هذا الكتاب مختارات من الأسئلة والفتاوى التي قدِّمت إلى المؤلف عبر موقعه على الانترنت خلال السنتين الأوليين من عمر الموقع.

يصدر قريباً

لطائف قرآنية

مُعايشات فكرية ووجدانية ولغوية لآيات وكلمات من القرآن الكريم

فتاوى الجماهير

رصد وتوثيق للأسئلة والاستفتاءات التي طرحت على المؤلف عبر جريدة الجماهير

زوروا موقع المفكر الإسلامي الدكتور الشيخ محمود عكام

www.akkam.org

حيث تطلعون فيه على أعماله ونشاطاته ومؤلفاته،
كما يمكنكم نشر آرائكم وأفكاركم على صفحات الموقع.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

فهرس الرَّسائل

٩ مقدِّمة الطبعة الرابعة من الرَّسائل.

١١ مقدِّمة الطبعة الأولى.

١٥ الرِّسالة الأولى: سَيِّدي: وَهَلْ يَسْتطيْعُ القَلبُ أن لا يُحِبَّ ؟!

٢١ الرِّسالة الثانية: سَيِّدي: وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظيْم.

٢٧ الرِّسالة الثالثة: وكُنْ مِنَ السَّاجديْن.

٣٢ الرِّسالة الرابعة: مقَابَلةٌ ومُعَاهَدَةٌ.

٣٧ الرِّسالة الخامسة: سَيِّدي: وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَم وكانَ فَضْلُ اللهِ عليْكَ عَظيْمَاً.

٤١ الرِّسالة السَّادسة: سَيِّدي: اللهُ أعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رسَالَتَه.

٤٩ الرَّسالة السَّابعة: أنا النَّبيُّ لا كَذب، أنا ابنُ عبْد المطَّلب.

٥٥ الرِّسالة الثامنة: قالُوا عنكَ يا سَيِّدي يا رسولَ الله.

٦١ الرِّسالة التاسعة: سَيِّدي: شهادةٌ منكَ فيكَ يا أجمَلَ وأكمَلَ إنسان.

٦٧ الرِّسالة العاشرة: سَيِّدي رسولَ الله: أنتَ الرَّحمةُ المهدَاة.

٧٣ الرِّسالة الحادية عشْرة: أدَّبني ربِّي فأحسنَ تأديبي.

٨١ الرِّسالة الثانية عشرة: سيِّدي: والشِّعرُ أجملُه ما كنتَ مضمونَه.

٨٩ الرَّسالة الثالثة عشرة: طبيبٌ علَّمك الله فطُوبى لمن طبَّبتَ.

٩٣ الرَّسالة الرابعة عشرة: سيِّدي: قوَّتك دونها قُوى كلِّ الرجال.

٩٩ الرِّسالة الخامسة عشْرة: سيِّدي: لُطفُك فاقَ كلَّ لُطف.

١٠٥ الرِّسالة السَّادسة عشرة: سيِّدي: في الذِّكرى تحلو الكلمات من هنا وهناك.

١١١ الرِّسالة السَّابعة عشرة: نِقَاط قياسيَّة.

١١٧ الرِّسالة الثامنة عشْرة: سيِّدي: أنت العبدُ العابد والخليفة السَّاجد.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

١٢٣ الرِّسالة التاسعة عشرة: سيّدي: أنت مَنْ تولى الله تعليمَك.

١٢٧ الرِّسالة العشرون: سيّدي: نواليك وننتمي إليك.

١٣٢ الرِّسالة الحادية والعشرون: سيّدي: هذا عطاءُ الله بلا حدود، وهذا عطاؤك منه ممدود.

١٣٧ الرِّسالة الثانية والعشرون: سيّدي: البشارة فيك وبك سابقة، معجزة الله لك مؤيّدة، ونصرُ الله لك داعم.

١٤١ الرِّسالة الثالثة والعشرون: تعرُّف وتشرُّف.

١٤٥ الرِّسالة الرابعة والعشرون: سيّدي: كلُّ شيءٌ في الكون لك يشهد أنَّك الرَّسول الحقُّ.

١٤٩ الرِّسالة الخامسة والعشرون: سيّدي: أنت الزوجُ الأمثَلُ والأبُ الأفضَل.

١٥٣ الرِّسالة السَّادسة والعشرون: دعوةٌ عامَّة إلى شخصيَّة كاملة.

١٥٧ الرِّسالة السَّابعة والعشرون: سيّدي: أنت أسوة فوق القدوة.

١٦١ الرِّسالة الثامنة والعشرون: سيّدي: الصَّلاة عليك فريضة منوَّرة فهنيئاً لمن استنار.

١٦٥ الرِّسالة التاسعة والعشرون: سيّدي: أنت المعصومُ الأكمل قد غفرَ الله لك ما تقدَّم مِن ذنبك وما تأخَّر.

نفَحاتُ الرؤى والزيارات إلى سيِّد السَّادات:

١٧٣ نَفْحَةُ الرَّوضَة.

١٧٦ نَفحةُ القُبَّة الخضراءِ في الحجِّ.

١٧٧ نَفْحُة طَيبةَ في العُمْرِة.

١٧٩ نَفْحَةٌ في الرَّوضَةِ.

١٨٠ نفحةُ الزِّيارةِ والرَّوضةِ في الحجِّ.

١٨٥ تعريف بكتب المؤلف.